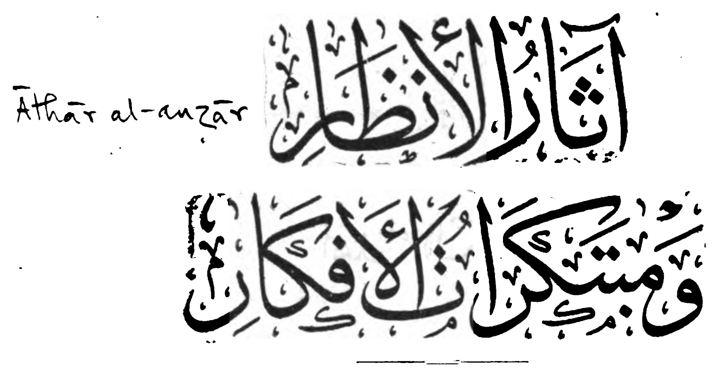

Princeton University Library
32101 076392479





وهو

شموس براهين الدين العقلية واقمار اخبار اليقين النقلية

تأليف

حضرة العلامة المحقق وشمس الشريعة والحقيقة المدقق

السيد احمد الشريف

الحسني من آل الرسول الامين نفع الله بعلومه آمين

(ثمن النسخة الواحدة خمسة عشر قرشاً صاغاً)

مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز بمصر

١٣١٩ هـ — ١٩٠٢ م

مولاى الفخيم والمليك العظيم

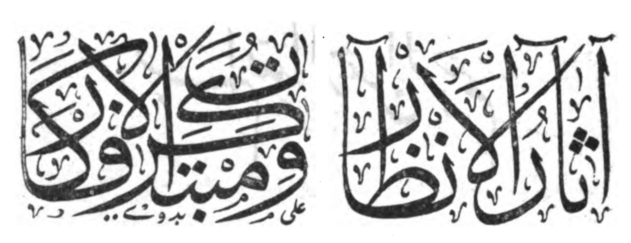
أن لى الشرف الأسني والفخر الاسمى بمشاركة حضرة صديقي الفاضل واخى الكامل المخلص فى ولائه وعبوديته لذاتكم البهية وخدمته لسدتكم العلية بقدر غيرته على الملة الحنيفية على بك بدر فى تقديم هذا المؤلف الكريم والسفر العظيم لانه حسنة من حسناتكم وقطرة من بحار علومكم ومعارفكم لم ينسج على منواله ولم يحتذ احد على مثاله حتى اتى فى وقت النهضة العلمية التى رفعت منار العقول وأطلعت أقمار الفهوم بعد الأفول فاستوت فى مدارها وانتظمت فى مسراها ومسارها في دائرة شمس حامي ذمارها لابرحت الافئدة تحوم بعلومها حول حماكم ولا فتئت الالسنة تنطق بمعارفها فى فسيح مغناكم ولا زلت أيها المولى الفخيم والمليك العظيم متضافراً مع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وحامى حوزة الدين وعماد المسلمين وملجأ اللائذين على اعلاء كلمة الحق والايمان وبناء صروح اليقين والاحسان

تحلى الدين أو تحمى حماه   فأنت عليه سور أو سوار

المولى الضعيف

(احمد الشريف)





وهو

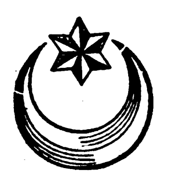
شموس براهين الدين العقلية وأقمار اخبار اليقين النقلية

تأليف

حضرة العلامة المحقق وشمس الشريعة والحقيقة المدقق

السيد أحمد أفندي الشريف

الحسني من آل الرسول الامين نفع الله بعلومه المسلمين والناس أجمعين



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهمّ لانحصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما علمتنا ان نقول الحمد لله رب العالمين فلك الحمد يارب العالمين على ما افضت علينامن نعمة معرفة وحدانيتك وسر ازليتك وابديتك واستديت الينا من فضل ارسال سيدنا ومولانا محمد مظهرك الاجلى ونور قدسك الاعلى وايدته بالمعجزات الباهرة والآيات المنيرة الزاهرة ولاسيما القرآن روح الاعجاز فى كل زمان وانعمت علينا فهديتنا بنور سراجك الوهاج الى صراطك المستقيم ودينك القويم وقد أمرتنا بالصلاة والسلام على هذا النبي الكريم والرسول العظيم فصلّ اللهم عليه وسلم وشرف وكرم ونشكر صحب هذا الرسول الاكرم والسيد السند الاعظم الذين بلغونا الحق اليقين بلسان الصدق المبين وآله الطاهرين مودة لهم كما امرت وحباً فى حبيبك الامين .

(أما بعد) فقد سألتني ايها الصديق الحميم والخل الكريم ان اذكر لكم باسم الامة الاسلامية والملة المحمدية مافيه الاقناع بالاختصار

والايجاز من الاجوبة العقلية والاخبار الصحيحة النقلية فى المسائل الآتية

كيف كان فتح الاسلام أكان بالسيف والرمح والسنان أم بالحجج العقلية والبرهان

كيف يكون القرآن معجزة ولماذا لم تكن التوراة معجزة ولا الانجيل معجزة والكل كلام الله تعالى وما الدليل العقلى على ذلك

ما امهات معجزات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم المتواترة التى لاشك فيها ولاريب

هل هناك ادلة عقلية من الكتاب أو السنة وليست معروفة بهذا الوصف على صحة نبوة ورسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ما الدليل العقلى على برائة السيدة عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم مما رميت به من الافك وكيف كان حديثه

هل من دليل عقلى فى التوراة أو الانجيل يثبت نبوّة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بحيث لايكون رمزاً يمكن تأويله للفريق النافي للنبوّة والرسالة خلاف الادلة المستفاضة فى التآليف الخاصة بذلك ككتاب اظهار الحق وكتابكم علم اليقين وامثالهما

هل من تعليل للنفس اذا ماجت عقول اهل الطيش من الأمتين اليهودية والنصرانية واظهروا الافتراء واسندوا الى المظهر الاقدس الانور محمد عليه الصلاة والسلام مالايليق بجلالة قدره ورتبة ذاته النبوية مما يرغم انوفهم ويطاطئ برؤسهم ويوقفهم عند حدهم بحيث لايكون ماساً بما جاء به القرآن العظيم من اجلال واعظام واكبار

المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أو امه

فان الحرية التى اطلقت فى هذا العصر ولم يعرفوا لها اسماً ولا مسمى قد جرأت فريقاً منهم لاخلاق له من الانسانية والعلم والادب الى التطاول على مقامه الكريم وشخصه العظيم واذا قوبلوا بالمثل كان ذلك داعياً للكفران والعياذ بالله وقد ظن بعض الطغام من الامة الاسلامية ان المقابلة بالمثل هو من رد الفرية أو الانتصار للدين ويجهلون ان ذلك مفض والعياذ بالله تعالى الى ضلالهم وخسرانهم المبين

وقد قلت ايها العلامة الفاضل بانك تكتفى منا فى كل مقام بالنزر اليسير بحيث يكون قائماً على منصة الاعتدال راقياً منبر المهابة والاجلال مستوياً على عرش القلوب أخذاً بيد العصابة المحمدية فى ميدان التجادل والبيان موفور البرهان مسدد التبيان

وان اجعل الكلام فى كل مقام بالحرّية ليكون ادعى للقبول من أهل العقول فى كل ملة وجنس ولامكان ترجمته للالسنة الاجنبية واللغات الاعجمية خدمة للدين والامة المحمدية ولمن يريد استجلاء انوار الحقائق الاسلامية وفرائد ولطائف الملة الزاهرة الحنيفية

فاقول مستعيناً بالله ومستمداً من لدنه القوة والحول والمنة والطول فانه لاحول ولاقوة الاّ به تعالى



الباب الاول

﴿ فى الكلام على فتوح الاسلام ﴾

« فصل »

(فى حالة العرب قبل الاسلام)

اعلم ايها الفاضل النبيل ان حالة العرب قبل الاسلام لا تخفى على من طالع التواريخ وعنى بتتبع احوالهم فى العهد الاول عهد الجاهلية زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلقد تأصلت فيهم عوائد واخلاق من اصعب الامور واشدها حملهم على تركها . وصرفهم عنها وتغيير مافى نفوسهم منها مع ثباتهم عليها وتأصلها فيهم وتشربها قلوبهم وتمسكهم بها التمسك الاعمى فلقد كانوا يحفرون الحفر ويدفنون بناتهم فيها احياً وهو ما يسمونه بالوأد خوفاً من عارهن ووقوعهم باسبابهن فى اللوم والتثريب ويعاقرون الخمر ويتفننون فى شربها واتخاذها ولا سيما الميسر وما يعتقدونه فى الانصاب والازلام ويشنون الغارات ويسفكون الدماء ويسلبون الاموال ويزجرون الطير ويقولون بصفر والهامة والقيافة والعرافة والتفائل والكهانة والجان والتوابع من حيث احوالهم المعاشية وغيرها ويعبدون الاصنام والاوثان وينكحون زوجات آبائهم ويجمعون بين الاختين ويكثرون عدد الزوجات بماليس له حد محدود اوعدد معدود ويفاخرون

بالالقاب والانساب معما هم عليه من انواع السفاح فى النكاح ويهيمون فى الوهاد والنجاد لا يقرون لغيرهم برياسة ولا يألفون سياسة ولا تعجبهم كياسة واذا صادفهم ضيق او حرج فى ارض رحلوا عنها وتركوها يتتبعون المراعى الخصبة والاراضى التى تشمخ فيها انوفهم وتشرأب عندها اعناقهم فهم أولوا قوة وبأس شديد فى المحافظة على عوائدهم واخلاقهم التى ورثوها عن آبائهم واجدادهم ولاسيما دينهم وعبادتهم اللات والعزى ومناة وهبل الاعلى تلك الغرانيق التى فضلوها على سائر معبودات العالم واديانهم وكانوا اشداء اقوياء على من اراد تغييراً فى معتقداتهم او ثلمها باى كيفية وباي صورة وهم ومن كان قبلهم جيلا فجيلا صاعدا على هذا النمط وذلك الشكل ورثوا الصلابة فى الدين وشدة التمسك بالعادات حتى ان بعضهم كان ينشر حياً بالمنشار وبعضهم يقطع اربا اربا وهو مستمر على دينه يأبى الانصراف عن معتقدة حرصاً على ديانته وعوائده وتمسكا بملة آبائه فقد روى محمد بن اسماعيل البخارى في صحيحه عن الحميدى عن سفيان عن بيان واسماعيل قالا سمعنا قيسا يقول سمعت خبابا يقول اتيت النبي صلي الله عليه وسلم وهو متوسد بردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت الا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد دون عظامه من لحم او عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ما يخاف الا الله زاد بيان والذئب على غنمه

وقد جاس العرب خلال الديار والفو الرحلات المتتابعة والاسفار فى نجاد الارض ووهادها وجابوا الاقاصى من البلدان وادانيها وهم على علم تام من أمر الديانة الموسوية والعيسوية وملة ابراهيم وعبادة الشمس والقمر والنجوم وعبادة النيران ووقفوا على ما ترمى اليه كل الديانات وهم مع ذلك يفضلون عبادة الاوثان والاصنام ويحافظون على عوائدهم واخلاقهم فيها لاخر قطرة من دمائهم وكان للعرب كهان يفدون عليهم زرافات ووحدانا ولهم احتفال كبير بكثير من الاوهام المعروفة عنهم وامثال العوائد والاخلاق التى قدمنا ذكرها وهى منشؤها الهيام فى وديان الجهالة بحقيقة الاديان السماوية وليس هم وحدهم على هذه الصفات بل كانت الامم قد استوى على عرش قلوبهم الجهل والطيش والوهم واختلف اهل الديانات واضطربت اقوالهم فيها بما لا يقبله العقل ومن هذا الباب قد فضل العرب دينهم الا القليل النادر ممن كان يعبد الله على ملة من الملل او نحلة من النحل وكان اهم شىء عند الواحد منهم ان يعرف بالجود والكرم وعراقة الاصل وطيب الارومة والشجاعة والسماحة والعفو والفصاحة والبيان فى المواقف المختلفة والمعارض العمومية وكانوا كما قال القاضى عياض ارباب الشأن فى الفصاحة وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم وأوتوا من ذرابة اللسان مالم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديها فى المقامات وشديد الخطب

ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم أجمل من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكلفة والكثير الرونق والرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما فى البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحاً لبلوغ اسبابها فقالوا فى الخطر المهين وتفننوا فى الغث والسمين وتقاولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم والنثر فماراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ماكانوا فى هذا الباب مجالا وأشهر فى الخطابة رجالا واكثر فى السجع والشعر ارتجالا

واوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون

« فصل »

﴿ كيف كان بدء الوحي وظهور المصطفى عليه السلام ﴾ .
(بالدعوة الى الاسلام وذكر بعض مالقيه فى سبيلها من الاذى)

اعلم ايدك الله بروح منه والهمك رشدك وثبت فى هذا الدين القويم قدمك ان اول مابدئ به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤياً الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة زوجه صلى الله عليه وسلم فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك جبرائيل عليه السلام فقال اقرأ فقال ما انا بقارئ اي انه امي لايدرى القراءة كما فهم من اول الوهلة انه امرله بالقراءة والتكليف بمالا يطاق ممتنع كما ادى الى ذلك عقله الكامل قبل ظهور نبوّته عليه الصلاة والسلام قال فاخذني فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ما انا بقارئ فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارئ فاخذنى فغطنى الثالثة ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان

من علق اقرأ وربك الاكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة كلا والله مايخزيك أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من أبن اخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً ليتنى اكون حياً اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجيّ هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحي

فانظر كيف تلطف النبي عليه الصلاة والسلام في تبليغ زوجته خديجة رضى الله عنها ما اتاه من الوحي وكيف اختبرها فى أمره ليعلم ماعندها من العلم بحاله لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليجهل امر نبوته ولا رسالته وانما هو اللطف الربانى وطريق الحكمة الاقدس فى اذاعة اول خبر بعثته ونزول الوحي بالقرآن عليه وانظر الى حسن ظنها به

وعلمها بصدقه عليه الصلاة والسلام وماهو عليه من الامانة والفطانة والعصمة من الزيغ عن الحق وانه لا يركن فى قول او فعل الى سفاسف الامور ولقد كان عمره عليه السلام فى هذا الوقت اربعين سنة فقد حدث البخاري عن احمد بن ابى رجاء عن النضر عن هشام عن عكرمة عن بن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشر سنة ثم امر بالهجرة الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم

هذا وبعد فترة من الوحى قال عليه السلام بينا انا امشى اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الى قوله والرجز فاهجر فحمى الوحي وتتابع

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده علىّ فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال واحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى مايقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً

وقد اسلمت السيدة خديجة رضوان الله عليها فكانت اول من اسلم من الرجال والنساء ولكنها لم تسلم بحرب ولاضرب ولاقهرها على الاسلام بآية من الآيات او معجزة من المعجزات وانما آيتها واقعة

من علق اقرأ وربك الأكرم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله مايخزيك أبداً انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من أبن اخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي انزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعاً ليتنى اكون حياً اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مخرجيّ هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحي

فانظر كيف تلطف النبي عليه الصلاة والسلام في تبليغ زوجته خديجة رضى الله عنها ما اتاه من الوحي وكيف اختبرها فى أمره ليعلم ماعندها من العلم بحاله لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليجهل امر نبوته ولا رسالته وانما هو اللطف الربانى وطريق الحكمة الاقدس فى اذاعة اول خبر بعثته ونزول الوحي بالقرآن عليه وانظر الى حسن ظنها به

وعلمها بصدقه عليه الصلاة والسلام وماهو عايه من الامانة والفطانة والعصمة من الزيغ عن الحق وانه لايركن فى قول او فعل الى سفاسف الامور ولقد كان عمره عليه السلام فى هذا الوقت اربعين سنة فقد حدث البخاري عن احمد بن ابى رجاء عن النضر عن هشام عن عكرمة عن بن عباس قال انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربعين فمكث ثلاث عشر سنة ثم امر بالهجرة الى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفى صلى الله عليه وسلم

هذا وبعد فترة من الوحى قال عليه السلام بينا انا امشى اذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت زملونى زملونى فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر الى قوله والرجز فاهجر فحمى الوحي وتتابع

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده عليّ فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال واحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى مايقول قالت عائشة رضى الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقاً

وقد اسلمت السيدة خديجة رضوان الله عليها فكانت اول من اسلم من الرجال والنساء ولكنها لم تسلم بحرب ولاضرب ولاقهرها على الاسلام بآية من الآيات او معجزة من المعجزات وانما آيتها واقعة

فى نفسها وحاصلة فى ضميرها وهي معرفتها بصدقه وامانته وعلمها بان حالته التى كان عليها حالة الصادقين الذين لايتلاعبون بعقول الناس وقد خبرت ذلك خمس عشرة سنة لانه عليه السلام قد تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وهى بنت اربعين سنة وبعث وهو ابن اربعين وهي اسلمت وقد بلغت خمساً وخمسين سنة ساعد على ذلك حسن صفاته الاخلاقية والادبية وما لها من حسن النظر ودقة الروّية والاّ فقل ان تنتفع الزوجة بما يكون لزوجها من الخصائص والمزايا فكان الاسلام فى يوم من الايام وهو يوم اسلام السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قاصراً عليه صلى الله عليه وسلم وعليها وليس فى الدنيا من يوحد الله وينفى الشريك عنه الا هما فاشبها فى وجودهما آدم وحوآ وليس معهما احد غيرهما وكان اسلام خديجة وهى زوج النبي صلى الله عليه وسلم رمزاً على ما يكون عليه الاسلام من القوة بكثرة سواد اهله ووفور عدد المسلمين وبقائهم الى يوم القيامة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم كما هو الشأن فى ظهور آدم أولاً وظهور حوآ ثانياً

فقد روى البخارى بالسند عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيباً يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولن تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله

ثم اسلم ابو بكر الصديق رضى الله عنه وسعد بن أبى وقاص وعلي ابن أبى طالب وزيد بن حارثة رضى الله عنهم وقد حدث البخارى بالسند

عن سعيد بن المسيب انه قال سمعت أبا اسحاق سعد بن أبي وقاص يقول ما اسلم احد الاّ في اليوم الذى اسلمت فيه ولقد مكثت سبعة أيام وانى لثلث الاسلام

فيكون قد عد أبا بكر الصديق وزيد بن حارثة وترك خديجة لكونها من النساء وعليا لكونه غلاماً لم يبلغ الحلم

حدث البخارى عن عبد الله بن محمد الاملىّ عن يحيي بن معين عن اسماعيل بن مجالد عن بيان عن وبرة عن همام بن الحارث قال قال عمار بن ياسر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه الاّ خمسة أعبد وامرأتان وابو بكر

ولقد كانت دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الاسلام سراً لما يعلمه فى قومه وعشيرته من القوة والبأس والحمية الجاهلية وتمسكهم الشديد بدينهم وعوائدهم وأخلاقهم كما مرّ عليك فى الفصل السابق فقد حدث البخارى عن عمرو بن عباس عن عبد الرحمن بن مهدى عن المثنى عن ابى جمرة عن ابن عباس قال لما بلغ أبا ذر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا الرجل الذى يزعم انه نبيّ يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتنى فانطلق الاخ حتى قدمه وسمع من قوله ثم رجع الى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق وكلاماً ما هو بالشعر فقال ما شفيتنى مما أردت فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتي المسجد فالتمس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه حتى

ادركه بعض الليل فرآه علي فعرف انه غريب فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اصبح ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أمسى فعاد الى مضجعه فمرّ به عليّ فقال أما نال للرجل ان يعلم منزله فأقامه فذهب به معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان يوم الثالث فعاد عليّ على مثل ذلك فأقام معه ثم قال ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال ان اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدنّني فعلت ففعل فأخبره قال فانه حق وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً اخاف عليك قمت كأني أريق الماء فان مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي ففعل فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم ودخل معه فسمع من قوله واسلم مكانه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى قومك فأخبرهم حتى يأتيك امري قال والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم فخرج حتى اتى المسجد فنادى بأعلى صوته اشهد أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه واتى العباس فأكب عليه قال ويلكم ألستم تعلمون انه من غفار وان طريق تجاركم الى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكب العباس عليه

وليس أذاهم كان قاصراً على من يدخل منهم فى الاسلام بل كانوا يؤذون النبي عليه الصلاة والسلام فلقد حدث البخارى عن عياش بن الوليد عن الوليدبن مسلم عن الاوزاعى عن يحيي بن ابى كثير عن محمد

ابن ابراهيم التيمى عن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاص قلت اخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل ابو بكر حتى اخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتقتلون رجلاً ان يقول ربى الله الآية

وعقبة بن ابى معيط هذا ممن دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليه فى القصة الآتية فقتل فى وقعة بدر وباء بغضب من الله تعالى ولعنة . ومن بليغ ما لقيه عليه الصلاة والسلام من اذى قومه وهو صابر بما حدث به البخارى عن احمد بن اسحاق السومارى عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل بن ابى اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة وجمع من قريش فى مجالسهم اذ قال قائل منهم ألا تنظرون الى هذا المرائى ايكم يقوم الى جزور آل فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث اشقاهم فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً فضحكوا حتى مال بعضهم الى بعض من الضحك فانطلق منطلق الى فاطمة وهى جويرية فأقبلت تسعى وثبت النبي صلى الله عليه وسلم ساجداً حتى ألقته عنه وأقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش

ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمار بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع اصحاب القليب لعنة.

وقد اوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بانواع الاذى. وهو صابر يدعو للاسلام بثبات قلب وقوة جاش وذلك بعد ان مكث. يدعو الى الدين سرا ثلاث سنين لعدم الامر بالاعلان الى ان جاءه وهو قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الآية

ولما انزلت عليه آية وأنذر عشيرتك الاقربين أمر عليا فدعاهم وفيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما اعلم انساناً فى العرب جاء قومه بافضل ماجئتكم به قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة واطال عليه الصلاة والسلام فى حثهم على توحيد الله تعالى والايمان به رسولا من لدنه فلم يسمعوا لقوله ولالبوا دعوته وانصرفوا يضحكون من أمره ويسخرون ويستهزئون وكل ذلك لم يثنه عن التبليغ والدعوة وقد جاهرهم بالعداوة وأخذ يسب آلهتهم ويقبح عبادتهم ويبين فساد عقولهم والاذي يشتد عليه وعلى من آمن به فاخذت القبائل تعذب كل من اسلم منها بانواع التعذيب ممن لا منعة له في قومه ومنهم من مات معذباً بايدى المشركين

واشتد أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم ايضاً مع منعه من عمه ابى طالب ثم اسلم حمزة عمه بعد خمس سنين من نبوته عليه الصلاة والسلام

وبعده بقليل من الايام اسلم عمر بن الخطاب واخذ الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً من قبائل شتى وتركوا عبادة الاوثان والاصنام التى تشربت قلوبهم وامتزجت بدمائهم ولا ريب ان هذا الداعى لم يكن له من القوة الجارحة والسلطان النافذ ما يحملهم على ترك ديانتهم وعوائد آبائهم بل دعا الى الله وهو فرد لا قوة له الا بالله تعالى وهو ذو القوة المتين ولا بطش له الا بيقينه بصحة بعثته وما أوتيه من النور المبين والأمور الخارقة للجادة المألوفة والعوائد المعروفة تلك القوة الالهية والعناية الربانية التى اظهرها الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم وبلسانه وقوة جنانه وسيف الحجة اقطع وسنان البرهان ارشق فاجتمعت الالوف المؤلفة فى ساحة الدين المبين ودخلوا فى حصنه الحصين والتجؤا الى ركنه الركين

وهو صلى الله عليه وسلم لم يدع وسيلة لاظهار حقائق دينه القويم وملته الصحيحة بالبراهين العقلية والمعجزات الخارقة للعادة سراً وعلناً مكث هكذا بمكة دار مولده وموطن اهله وعشيرته ثلاث عشرة سنة والاسلام ينتشر انتشاراً عجيباً بين القبائل على اختلاف لغاتها وبعد ما بينها وأخبار معجزاته وآياته ينقلها الركبان الى اقاصى البلدان الى ان اشتد غيظ قريش وزاد حنقها فبالغوا فى اذى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى خرج ابو بكر الصديق رضى الله عنه مهاجراً نحو ارض الحبشة ولما بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارّة فقال له فان مثلك ياابا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل

ثم سمى اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمار بن الوليد قال عبد الله فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع اصحاب القليب لعنة.

وقد اوذى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعه بانواع الاذى. وهو صابر يدعو للاسلام بثبات قلب وقوة جاش وذلك بعد ان مكث. يدعو الى الدين سرا ثلاث سنين لعدم الامر بالاعلان الى ان جاءه وهو قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الآية

ولما انزلت عليه آية وأنذر عشيرتك الاقربين أمر عليا فدعاهم وفيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما اعلم انساناً فى العرب جاء قومه بافضل ماجئتكم به قد جئتكم بخيرى الدنيا والآخرة واطال عليه الصلاة والسلام فى حثهم على توحيد الله تعالى والايمان به رسولا من لدنه فلم يسمعوا لقوله ولالبوا دعوته وانصرفوا يضحكون من أمره ويسخرون ويستهزئون وكل ذلك لم يثنه عن التبليغ والدعوة وقد جاهرهم بالعداوة وأخذ يسب آلهتهم ويقبح عبادتهم ويبين فساد عقولهم والاذي يشتد عليه وعلى من آمن به فاخذت القبائل تعذب كل من اسلم منها بانواع التعذيب ممن لا منعة له في قومه ومنهم من مات معذباً بايدى المشركين

واشتد أذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم ايضاً مع منعه من عمه ابى طالب ثم اسلم حمزة عمه بعد خمس سنين من نبوته عليه الصلاة والسلام

وبعده بقليل من الايام اسلم عمر بن الخطاب واخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً من قبائل شتى وتركوا عبادة الاوثان والاصنام التي تشربت قلوبهم وامتزجت بدمائهم ولا ريب ان هذا الداعي لم يكن له من القوة الجارحة والسلطان النافذ ما يحملهم على ترك دياناتهم وعوائد آبائهم بل دعا الى الله وهو فرد لا قوة له الا بالله تعالى وهو ذو القوة المتين ولا بطش له الا بيقينه بصحة بعثته وما أوتيه من النور المبين والأمور الخارقة للعادة المألوفة والعوائد المعروفة تلك القوة الالهية والعناية الربانية التي اظهرها الله سبحانه وتعالى على يديه صلى الله عليه وسلم وبلسانه وقوة جنانه وسيف الحجة اقطع وسنان البرهان ارشق فاجتمعت الالوف المؤلفة في ساحة الدين المبين ودخلوا في حصنه الحصين والتجؤا الى ركنه الركين

وهو صلى الله عليه وسلم لم يدع وسيلة لاظهار حقائق دينه القويم وملته الصحيحة بالبراهين العقلية والمعجزات الخارقة للعادة سراً وعلناً مكث هكذا بمكة دار مولده وموطن اهله وعشيرته ثلاث عشرة سنة والاسلام ينتشر انتشاراً عجيباً بين القبائل على اختلاف لغاتها وبعد ما بينها وأخبار معجزاته وآياته ينقلها الركبان الى اقاصي البلدان الى ان اشتد غيظ قريش وزاد حنقها فبالغوا في اذى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه مهاجراً نحو ارض الحبشة ولما بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارّة فقال له فان مثلك يا ابا بكر لا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل

وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار ارجع واعبد ربك
ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية فى اشراف
قريش فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر ابا بكر فليعبد
ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به
فانا نخشى ان يفتن نساءنا وابناءنا فلبث ابو بكر بذلك يعبد ربه فى داره
ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بدا لابى بكر فابتنى مسجداً
بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين
وابناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا
يملك عينيه اذا قرأ فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين فارسلوا
الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان
يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن بالصلاة
والقراءة فيه وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان
يقتصر على ان يعبد ربه فى داره فعل وان ابي الا ان يعلن بذلك فسله
ان يرد اليك ذمتك فأعاد ابن الدغنة ذلك علي ابى بكر فقال انى ارد اليك
جوارك وارضى بجوار الله عز وجل والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ
بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين انى أريت دار هجرتكم
وخرج هو وابو بكر الصديق وكان اصحابه قد هاجروا من قبل الى المدينة
ولما فقدت قريش رسول الله طلبوه بمكة اعلاها واسفلها فلم يجدوه
فبثوا عليه العيون والارصاد وجعلوا مائة ناقة لمن يرده أما رسول الله
وابو بكر فسارا حتى دخلا الغار ثم ارتحلا بعد أن اخذ الله على ابصار

المشركين الذين اقتفوا آثارهما ووصلوا الى الغار وهما موجودان فيه فوصلا الى المدينة وقد فرح اهلها بالنبي عليه الصلاة والسلام وسرى السرور في ارجائها وغشيتها سحائب انواره النبوية حتى صعدت ذوات الخدور علي الاسطحة فى انتظار قدومه الميمون ولما رأينه أنشدن

طلع البــدر علينا   من ثنيــات الوداع
وجب الشكر علينا   ما دعا لله داع
ايهــا المبعوث فينا   جئت بالامر المطاع
جئت شرفت المدينه   مرحباً ياخــير داع

« فصل »

﴿ فى فتوح الاسلام بغير رمح وحسام ﴾

لما ظهر النبي محمد عليه الصلاة السلام بالدعوة الى الله تعالى وأنه مرسل من لدنه لحمل الناس كافة على عبادة الله سبحانه وتعالى وعدم الاشراك به وتوحيده التوحيد المطلق وترك عبادة الاصنام والاوثان وما هم عليه من العوائد الذميمة كان فرداً واحداً والفرد الواحد لايتصور بحال من الاحوال ان يقوم فى وجوه الالوف المؤلفة بالسيف والرمح والسنان مع علمه بان العرب اولو بأس شديد فى دينهم ومنهــم الامراء ذوو الكلمة النافذة والملوك ذوو السطوة والسلطان المطلق وأولئك

الاقيال والابطال العظام والارواع العباهلة الفخام كان الرأى رأيهم والقول قولهم ولا يمكن ان ينصاعوا لاحد من العالمين مهما كانت قوته ومهما سمت صولته فمابالك بانسان واحد لم تلب عشيرته دعوته ولاقبل قومه أمره ونبذوه ظهرياً و آذوه اذى بليغاً فكان من الحكمة الالهية واللطائف الربانية وكونه مبعوثا من الله رحمة للعالمين أن دعا الى الله تعالى سراً ثلاث سنين ليمتنع بما يجمع الله عليه من الناس بعض مايكون من الاذى رعاية لحرمة النبوة وحفظاً للدعوة فى مقدمة امره وبعد الثلاث سنين امره الله باعلان الدعوة واظهار الدين فصدع بالامر فلاقى فى سبيل دعوته ما لاقاه هو واتباعه الضعفاء من انواع الاهانة وضروب التعذيب واصناف الاستهزاء والسخرية كل ذلك وهو مثابر على اعلان الدين واشهار ما أتى به من اليقين بالحجة العقلية والبرهان حتى قهر عقول أولئك المعاندين لارادة الله بما اظهره القادر سبحانه وتعالى على يديه على علم الملأ من قومه بأن هذا الداعى هو محمد الامين يتيم ابى طالب الذى لم يتعلم علماً ولا عرف فناً من الفنون بل كانت حياته لحد الاربعين من السنين قاصرة على الاشتغال فيما يقوم بحاجياته المعاشية واحواله الضرورية فمنهم من آمن ومنهم من كفر فمن آمن آمن عن روية وتدبر وامعان هداية الله وعنايته بفريق الجنة ومن كفر كفر حسداً وغماً وجهلا قدر الله وقضاؤه على فريق السعير دعا السيد الكامل الى عبادة الله ثلاث سنين سراً وما آمن معه الا قليل من ضعفاء قومه فما الذى دعاهم الى تغيير دينهم وتبديل معتقدهم وهم من اشد الناس تمسكا

يدينهم واخلاقهم أمحمد بنفسه وسيفه ورمحه وسنانه وخديجة زوجه وعمه ابو طالب وهو لم يعترف بنبوته ورسالته أو على بن ابى طالب وهو غلام أو زيد بن حارثة مولاه

هذا لايتصوره العقل ولايدلى اليه الفكر ثم مكث عشر سنين معلناً نبوته داعياً الى الله ولم يمتشق سيفاً ولاهز رمحاً وقد آمن به الكثير الطيب واصبح المسلمون منتشرين فى جميع القبائل وكثر سوادهم وعلت كلمتهم وماذلك الا بالآيات الباهرة والمعجزات المدهشة للعقول والخالبة للاذهان

فنبي الله صلى الله عليه وسلم يمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الى الله بالبراهين القوية والحجج العقلية ثم يقول المعاندون الافاكون ان الاسلام قد فتح بالسيف بهتان عظيم وافك جسيم اصله الجهل بحقيقة ماكان من امر النبوة وتاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والأغرب من ذلك ان يقول بهذا بعض جهلة المسلمين مستدلين بان خطباء المنابر يتوكؤن وقت الخطبة على سيف يتخذونه من الخشب مع ان النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه انه خطب وهو متوكيء على سيف بل كان يخطب متوكئا على عصى وفى الغزوات اذا خطب يخطب متوكئا على قوس وابتدأ القتال بعد هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة بامره تعالى كما امر الله به الرسل من قبل

الباب الثاني

﴿في القرآن وكيف هو معجزة دون التوراة والانجيل﴾
(والادلة العقلية على ذلك)

« فصل »

(فى كون القرآن العظيم معجزة)

اعلم أيها الأخ المجيد أنه قد ثبت فى الاخبار الصحيحة المتواترة التى لا شك فيها عند احد ولا ريب ان محمداً صلى الله عليه وسلم قد ولد عام الفيل فى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على المشهور من الاقوال وكان مولده عليه الصلاة والسلام بشعب بنى هاشم وهو معروف عند اهل مكة يخرجون اليه فى كل سنة وهناك لهم احتفال عظيم به * ونسبه من جهة أبيــه معروف ومحقق فهو سيدنا ومولانا ابو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان * ومن جهة امه فهو ابو القاسم محمد بن آمنة بنت وهب بن عبــد مناف بن زهرة بن كلاب الى آخر نسبه الشريف من جهة ابيه عبد الله

وقد مات ابوه عبدالله وهو حمل وكانت وفاته بمدينة يثرب وهو راجع من الشام لان اباه عبد المطلب كان يبعثه الى غزة من الشام يمتار لهم طعاماً مع تجار من قريش فلما رجعوا مرض عبدالله وتخلف بها عند اخواله بني النجار

ولقد كان لما وضع صلى الله عليه وسلم عرض على كثير من النساء فأبين أن يرضعنه ليتمه وفقره فاخذته حليمة السعدية قائلة لعل الله يجعل لنا فيه البركة فحقق الله رجاءها وافاض عليها ببركته صلى الله عليه وسلم من نعمائه ما اقر به أعينها

وقد ماتت امه فى السنة السادسة من عمره بالابواء محل بين مكة والمدينة وهو الى المدينة اقرب لانها كانت توجهت مع ام ايمن بركة حاضنة النبي صلى الله عليه وسلم لزيارة اخوال ابيه ولما رجعوا ذاهبين الى مكة ماتت امه بالابواء فدخلت به ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم الى مكة فكفله جده عبد المطلب وكان لم يرث صلى الله عليه وسلم من ابويه الا ام ايمن جارية ابيه وخمسة من الابل وعدداً قليلا من الغنم

ثم مات جده عبد المطلب ومحمد عليه الصلاة والسلام ابن ثمان سنين فكفله عمه ابوطالب بن عبد المطلب وكانت وظيفته الرفادة وهي اطعام الطعام لجميع الحجاج ايام الموسم وكان ابو طالب يحبه اكثر من حبه لاولاده فكان لا ينام الا الى جنبه ولا يخرج الا معه

ولما بلغ عليه الصلاة والسلام خمسا وعشرين سنة رغبت فيه خديجة بنت خويلد على جمال فيها وشرف وعزة ومال فرضي بها

وتزوجها وكان قد سافر مرتين الى الشام فى تجارة لها

ولما وصل سنه الى الاربعين وكان يتعبد بغار حراء اتاه الوحى وانزل عليه القرآن العظيم

هـذا هو القانون السماوى وقول الحكيم الخبير وهو المعجزة الكبرى فى نظر المسلمين كافة عامة وفى نظر الناس اجمعين لو كانوا يعقلون

ولماذا هو معجزة كبرى و آية عظمى عند المسلمين

فنقول انه معجزة كبرى لا لكونه عربياً مبيناً فقط فان البدوى الجلف الجافى يعبر عما فى ضميره بالعربية الفصحى والمنزع الغريب ويحكي ما يشاهده من الحوادث والوقائع بالايجاز والاختصار فى معان دقيقة ومبان رقيقة

ولا لكون النبي محمد عليه الصلاة والسلام أميا فقط فان العرب أميون الا القليل النادر والتواريخ والحوادث تشهد بان العرب قد نبغ منهم اميون قد ملكوا ازمة البلاغة والفصاحة وفاقوا غيرهم في ايراد المعانى المبتكرة فى الالفاظ اللطيفة المتسقة ولكنهم لم يتحدوا بها غيرهم لعلمهم بان هاتيك المعانى وهذه المبانى من المقدور عليها ويتحقق هذا الامر فى الحال بظهور نوابغ فى الفصاحة وفطاحل فى البلاغة والكل يستقون من منهل واحد ويصدرون من مصدر واحد

ولو كان ما أتى به منسوباً الى البلاغة والفصاحة فقط لما خرج عما يأتى به غيره من الاميين او المتعلمين من ضروب البلاغة وطرق الفصاحة وكان يعد من نوابغهم وأولى الفضل الكبير فى لسانهم ولا كان

يتحدى احداً منهم باقصر سورة منه لان الفصاحة والبلاغة من شأنهم ومن عادتهم وسليقتهم التي فطرهم الله عليها وانما الاعجاز فى كون محمد صلى الله عليه وسلم امياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم على استاذ من الاساتذة ولا حبر من الاحبار ولا انتقل الى بلد غير مكة ولا سافر فى طلب علم من العلوم او فن من الفنون بل هو معروف السير والسلوك والولادة والمنشأ والتربية من طفوليته الى رجوليته فى قبيلته وغيرها ولم يجهل احد منهم امراً من اموره او حالاً من احواله

وما شعروا الا وقد جاءهم بكتاب كريم ورقيم عظيم اشتمل على فصاحة عالية وبلاغة سامية وصناعة راقية اوج الكمال المطلق وصياغة فائقة امثالها بما لا يدرك كنهه ولا يسبر غوره ولا يستقرى صفته

أمعنوا فى مبانيه النظر ودققوا فى معانيه الفكر فحارت فيه عقولهم وتدلهت دون مراميه احلامهم ولم يقفوا على مثله فى جنس كلامهم من شعر او نظم او نثر او سجع او رجز ولم يعهدوا محمداً صلى الله عليه وسلم الا واحداً منهم عرفوا فيه اوصافاً جليلة ومحاسن أثيلة ولكنه لم يخرج عن كونه امياً لم يتعلم كالمتعلمين منهم ولا اشتغل وقتاً من الاوقات او زمناً من الازمان فى مدارسة اللغة واساليبها حتى يأتى بشيء لا قبل لهم على الاتيان بمثله فوقعوا فى الاندهاش والحيرة والاستغراب لاسيما عند ماتحداهم ببعض كلامه وقليل من نظامه ولقد تحقق عقلاؤهم وتيقن اذكياؤهم وفطناؤهم انه ليس فى قدرة البشر لحلاوة نظامه وطلاوة اسلوبه وجوامع كلمه ونواصع حكمه ودقته فى

رقته ولطافته فى غرابته وانسه فى نبسه وعلوه فى وضعه ونشره في طيه وان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن معروفاً من قبل بهذه الفصاحة ولا تلك البلاغة ولو كان شأوه بعيداً وبين اهله فريداً وحيداً وحقاًان محمداً عليه الصلاة والسلام لا يقتدر على الاتيان بهذا القرآن من عند نفسه ولو اتى به من عندياته وكان من مخترعاته ومبتكراته لامكن مثله فى الامية او متعلما اعرف منه ان يأتى بمثله او احسن منه ولكان التحدى موهوماً ينكشف بمجرد اقل امعان وتدبر وينبذ صاحبه ويخفض جانبه ويكون مثلة فى الهذيان وأضحوكة وسخرية مدى الزمان ولكن التحدى به قد أخرس ألسنتهم وطوى فصاحتهم وامات بلاغتهم وحير افكارهم وادهش أبصارهم وقد أتى بالمؤمنين منهم مذعنين وأرجع الكافرين ناكصين مبلسين فقد جاء فى الاخبار الصحيحة ان الوليد بن المغيرة لما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر

فقوله ما يقول هذا بشر من الدلالات القاطعة على ان القرآن العظيم قد حاز من افانين البلاغة وضروب الفصاحة ما ليس فى كلامهم وانه ليس في قدرة محمد عليه الصلاة والسلام وان كان معروفاً بفصاحة اللسان وصدق اللهجة وقوة الحجة فنفى بذوقه وعلمه وخبرته ان يأتى به محمد صلى الله عليه وسلم من عندياته او يكون من مخترعاته ولو كان كذلك لكان مقدوراً عليه محققا الاتيان بمثله

على ان بعض العرب قد عارض القرآن الكريم كمسيلمة ولكنه لم يعارضه الا بعد ان افترى على الله الكذب وادعي النبوة وهـذا من اقوى البراهين وامتن الحجج على ان العرب قد فهموا وتحققوا ان القرآن شيء عظيم وانه نهاية فى الفصاحة وغاية في البلاغة حتى ان من تعرض منهم لمعارضته لم يدخل فى المعارضة الا بعد ادعائه النبوة أتود ان تعرف نمطاً من انماط كلام هذا المدعي الذى قال انه منزل عليه لا أنه قد اتى به من عند نفسه قوله (الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل) وقوله (والزارعات زرعاً فالحاصدات حصداً والطابخات طبخاً فالآكلات اكلاً) وما قال غيره من اولى العقول السافلة والهمم الدنيئة الواطئة (انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وجاهر ان شانئك هو الرجل الفاجر)

اترى انهم بهذه المعارضة قد عارضوه كلا فانه قـد ثبت بتلك المعارضة انهم لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فما افادتهم معارضتهم الا الخيبة والخذلان بل عدت هذه المعارضة من معجزات القرآن العلى الشان لانها من الركاكة والانحطاط العلمى والأدبى ومن السخافة والحماقة والهذيان بالمكان الذى لا يخفى على اهل الميز من العرب ومن آتى بعدهم بل هى مثلة عقلية كشفت عوار المعارض وسلبته الفصاحة والبلاغة فانصرف الى اللكنة والعيّ فتخلصت بلاغة القرآن من المعارضة الحقة قول الله الحكيم العليم لا يعارضه قول ولا يقوم فى وجهه كلام على سبيل النقض والبطلان * ومن اللطائف الدالة على ان

العرب اولو مكانة فى الفصاحة وانهم قد عرفوا القرآن بحقه ودانوا به عن روية وامعان ما ذكره ابو عبيدة ان اعرابياً سمع رجلاً يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلاً يقرأ فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً فقال اشهد ان مخلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام * وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية فقال قاتلك الله ما أفصحك فقالت او يعد هذا فصاحة يعد قول الله تعالى واوحينا الى أم موسى ان أرضعيه الآية فجمع فى آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين و بشارتين قال القاضى عياض وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وقوله وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى الآية وقوله وكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً الآية واشباهها من الآى بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز ألفاظها وكثرة معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات فى المستنبطات عنها

وقد اشتمل أيضاً على الاخبار بالمغيبات كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله تعالى غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وقوله تعالى ليظهره على الدين كله وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

ليستخلفنهم في الارض الآية وقوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح .

وهكذا من آيات كريمة وسور عظيمة قد انبأت بغيبيات قد وقع ما أخبرت به ونصت عليه ومعلوم بالبداهة أن الامور الغيبية ليست من مقدور البشر وقد عرف العرب ماهو عليه محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن له علم من أمر الغيب ولا حدث بشيء من ذلك على طريقة الكهان الذين ان صادف قولهم في أي شيء مرة أخطأوا مراراً وقد روى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد الكاهن كيف يأتيك فقال ابن صياد يأتيني صادق وكاذب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلط عليك الامر وقد همّ عمر بن الخطاب بقتله فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم وابن صياد هذا كان يظن أنه المسيخ الدجال

وقد اشتمل القرآن على اخبار القرون الاولى والامم السالفة والشرائع الالهية المتقدمة مما هو مجهول عند العرب وغير معروف لهم تراه يسرد القصص الطوال وأخبار الامم البائدة والقرون الدائرة باحسن المعاني وأرقّ الالفاظ واصدقها لهجة وادخلها في الآذان بغير استئذان واذا كررها كررها في قوالب اخرى بليغة لاقبل للفصحاء على الاتيان بها مفصلة هذا التفصيل مرتبطة هذا الارتباط ليدل على أن بلاغته فوق البلاغات وفصاحته فوق الفصاحات تنزيل من حكيم حميد ومثل هذا الذي لم ينله بتعليم وان العرب قد علموا انه امي لايقرأ ولايكتب ولا اشتغل بمدارسة على احد وعلى من يشتغل حتى يتعلم هذه العلوم وتلك المعارف فانه كان الأولى للمعلم ان يظهر بهذا المظهر

الفخيم ولا يسلمه لهذا المسكين اليتيم وأحبار اليهود اذا علم الواحد منهم بقصة من هذه القصص فيكون قد نفد عمره وضاع وقته الطويل فى مدارستها وتراه غير عالم باسرارها وغير واقف على حقائقها ومراميها واذا كلف أن يضعها فى قالب عربى فكأنما قد كلف ان يعقد بين شعيرتين

وليس القرآن قاصراً على الفصاحة والبلاغة ولا على الاخبار الغيبية ولا قصص السالفين وأحوال الماضين وشرائع الله السالفة بل إحتوى على علوم شتى وضروب من الفنون الرائعة فقد نقل الجلال السيوطي فى كتابه الاتقان فى علوم القرآن عن ابن أبى الفضل المرسى انه قال فى تفسيره جمع القرآن علوم الاولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقة الا المتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره واحزابه وانصافه وارباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات الى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر ما أودع فيه فسموا القراء واعتنى النحاة بالمعرب

منه والمبنى من الاسماء والافعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا
الكلام فى الاسماء وتوابعها وضروب الافعال واللازم والمتعدى ورسوم
خط الكلمات وجميع مايتعلق به حتى ان بعضهم اعرب مشكله وبعضهم
اعربه كلمة كلمة واعتنى المفسرون بالفاظه فوجدوا منه لفظاً يدل على
معنى واحد ولفظاً يدل على معنيين ولفظاً يدل على اكثر فأجروا الاول
على حكمه وأوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا فى ترجيح أحد محتملات
ذى المعنيين والمعانى وأعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره
واعتنى الاصوليون بما فيه من الادلة العقلية والشواهد الاصلية والنظرية
مثل قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى غير ذلك من الآيات
الكثيرة فاستنبطوا منه ادلة على وحدانية الله تعالى ووجوده وبقائه
وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لايليق به وسموا هذا العلم باصول
الدين وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم
ومنها مايقتضى الخصوص الى غير ذلك فاستنبطوا منه احكام اللغة
من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر
والمجمل والمحكم والمتشابه والامر والنهى والنسخ الى غير ذلك من
انواع الاقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن اصول
الفقه وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من
الحلال والحرام وسائر الاحكام فأسسوا اصوله وفرّعوا فروعه
وبسطوا القول فى ذلك بسطاً حسناً وسموه بعلم الفروع وبالفقه
أيضاً وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم

الخالية ونقلوا اخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الاشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من اصول التعبير مثل ماورد في قصة يوسف في البقرات السمان وفي منامي صاحبي السجن وفي رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التي هي شارحة للكتاب فان عسر فمن الحكم والامثال ثم نظروا الى اصلاح العوام في مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذي أشار اليه القرآن بقوله وأمر بالعرف وأخذ قوم مما في آية المواريث من ذكر السهام واربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه احكام الوصايا ونظر قوم الى ما فيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت ونظر الكتاب والشعراء الى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادىء والمقاطع والمخالص والتلوين في الخطاب والاطناب والايجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع

ونظر فيه ارباب الاشارات واصحاب الحقيقة فلاح لهم من الفاظه معانٍ ودقائق جعلوا لها اعلاماً اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك . هذه هي الفنون التي اخذتها الملة الاسلامية منه وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك . أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهي قوله تعالى وكان بين ذلك قواماً وعرفنا فيـه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله شراب مختلف ألوانه فيـه شفاء للناس ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب وشفاء الصدور . وأما الهيئة ففي تضاعيف سوره من الآيات التي ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بث فى العالم العلوي والسفلي من المخلوقات . وأما الهندسة ففي قوله انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب الآية . وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيأ كثيراً ومناظرة ابراهيم نمروذ ومحاجته قومه اصل فى ذلك عظيم واما الجبر والمقابلة فقد قيل ان اوائل السور فيها ذكر مدد واعوام وايام لتواريخ امم سالفة وان فيها تاريخ بقاء هذه الامة وتاريخ مدة ايام الدنيا وما مضى وما بقى مضروبا بعضها في بعض . وأما النجامة ففي قوله أو أثارة من علم فقد فسره بذلك ابن عباس وفيه اصول الصنائع وأسماء

الآلات التي تدعو الضرورة اليها كالخياطة فى قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . والحدادة فى آية آتونى زبر الحديد وألنا له الحديد الآية والبناء فى آيات والنجارة واصنع الفلك بأعيننا والغزل نقضت غزلها والنسج كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً والفلاحة أفرأيتم ما تحرثون الآيات والصيد فى آيات والغوص كل بناء وغوّاص وتستخرجوا منه حلية والصياغة واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً والزجاجة صرح ممرد من قوارير المصباح فى زجاجة والفخارة فأوقدلى ياهامان على الطين والملاحة أما السفينة فكانت الآية والكتابة علم بالقلم والخبز أحمل فوق رأسى خبزاً والطبخ بعجل حنيذ والغسل والقصارة وثيابك فطهر قال الحواريون وهم القصارون والجزارة الا ما ذكيتم والبيع والشراء في آيات والصبغ صبغة الله جدد بيض وحمر والحجارة وتنحتون من الجبال بيوتاً والكيالة والوزن فى آيات والرمى وما رميت اذ رميت وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة . وفيه من اسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع وما يقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله تعالى ما فرطنا فى الكتاب من شيء

قلت الحق اليقين ان الكتاب فى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء هو اللوح المحفوظ وهو الامام المبين فى آية أخرى لا القرآن الكريم لان اطلاق الكتاب الذى لم يفرط فيه من شيء على القرآن لا يخفى ما فيه من التكلف الزائد بل التعسف الغير مرضى والاشارات الخفية والرموز او التأويلات التى يرجع اليها وقت القول بأن الامر

الفلانى وارد فى القرآن لا تنهض بالحجة ولا تقوم بالبرهان عند النقد الصحيح ولو كان القرآن حاوياً كل شيء ومشتملاً على جميع الامور كلياتها وجزئياتها من الاصول الدينية والعقائد التوحيدية وامور الحشر والنشر والجنة والنار واصول ما يلزم الانسان في المعاش والمعاذ بالتفصيل الكافي والبيان الوافى لما كان هناك ضرورة لانزال قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أولعل المراد من فهم من فهم أن الكتاب هو القرآن باضافة ما علم الله لنبيه عليه الصلاة والسلام وهو ما لا يعطى ذلك أيضاً الا بهذا الضرب من التكلف واذا قلنا ان القرآن هو بعض ما علم الله النبي صلى الله عليه وسلم لوجدنا فى القرآن دليلاً عليه وهو قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وليس هذا من الاشارات الخفية ولا الرموز بل من الصراحة بالمكان المفهوم فيتسع بنا مجال القول فى ان القرآن بعض ما علم الله النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن قد حوى كل شيء واشتمل على امور لا متسع للكلام عليها فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم كل شيء حتى ما لا يتوهم فيكون قد اشتمل على صفة العلم الالهي وهذا لا يقول به النبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابته الاجلاء رضوان الله عليهم فلا نقول به . وبهذا قد اندفع الايراد وتحقق الواقع من ان الكتاب هو اللوح والقرآن بخصوصه قد حوى الامور الضرورية والكمالية فى الدين والدنيا فلا جزئية نرى أننا فى حاجة اليها الا أشار اليها اشارة خفية قد وضحها النبي عليه الصلاة والسلام فيما صح عنه او أجلة الصحابة تحقيقاً لقوله عليه

الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء او رمز اليها رمزاً صدقهم الزمان بحوادثه كقوله تعالى عن فرعون موسى (اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) فقد ظهر في هذه الايام مصداقها اذ استكشف ارباب الفنون الأثرية التاريخية جثة منفتاح فرعون موسى وهذا الامر كان مغيباً عن كثير منذ الفتح الاسلامى ولا بد ان الزمان يكشف ما غمض عنا من هذا القبيل

واذ قد علمت أن القرآن بما هو عليه من الحقائق الالهية والرقائق العرفانية لم يقتدر على الاتيان بمثل اقصر سورة منه احد وعلمت انه قد تحدى به السيد الكامل صلى الله عليه وسلم بضعاً وعشرين سنة وعلمت ان الامي المماثل له قد عجز وغير الامى قد نكص على عقبيه وقد ارتدى من عارضه بثوب المهانة والذل وباء بخزى وعار . فاعلم ان محمداً صلى الله عليه وسلم قد نشر عنه من الاحاديث الصحيحة فى مواقف ومواضع مختلفة ما لا يحصى كثرة وعند التأمل بأقل امعان يظهر أن هناك فرقاً عظيماً وبوناً شاسعاً بين بلاغة القرآن وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والمعلوم ضرورة انه قد تلفظ بهما وخرجا من بين شفتيه وهو عليه الصلاة والسلام واحد ليس متعدداً وبديهي ان الشخص الواحد ولا سيما الامى لا يقتدر على الاتيان بكلام يقال له قرآن وكلام يقال له حديث واحدهما بالغ نهاية الفصاحة وغاية البلاغة والآخر بليغ جداً ولكن لا يدانيه ولا يماثله لا فى الالفاظ ولا فى المعانى وهناك احاديث قدسية عن الله تعالى وهى ما ترجمها النبي عليه الصلاة والسلام بألفاظ

من عنده تجدها اقل رتبة من القرآن وارفع بقليل من الحديث بنسبة جلال القرآن الاقدس ومن هنا تعلم الفرق بين الانواع الثلاثة وهو كالصبح ظاهر وتعلم صحة نسبة القرآن العظيم الى الله تعالى وانه ليس في قدرة محمد صلى الله عليه وسلم أن يأتي به من عند نفسه ومن ثم اصبح القرآن معجزاً بل هو معجزة كبرى وآية عظمى في هذه الامية الجليلة كما اشار البوصيرى الى ذلك فى برأته

كفاك بالعلم فى الامي معجزة * فى الجاهلية والتأديب في اليتم

« فصل »

﴿ في كون القرآن العظيم معجزة دون التوراة والانجيل ﴾
(والادلة القاطعة على ذلك)

أما كون القرآن الشريف لم يعدّ معجزة عند غير المسلمين فطريقهم فى ذلك أن التوراة قد انزلت على موسى عليه الصلاة والسلام بالعبرانية الفصحى وبلاغتها عند العبرانيين تضاهي بالطبع بلاغة القرآن عند العرب البلغاء ولم يقل احد من العبرانيين او ممن أتى بعدهم ان التوراة معجزة من المعجزات او آية من الآيات فجروا في القول على القرآن كما هو الحال والشأن فى التوراة

وكذا انزل الانجيل على المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ولم يقل احد من اتباعه بأنه معجزة مع فصاحته وبلاغته في العبرانية

بالنسبة لكلام الكتبة فى ذلك الوقت

ومن هنا قد اطال الجاهلون فى التنديد بالمسلمين وبكتابهم وادعوا ادعاآت باطلة لاسند لهم فيها ولا برهان غير الجهل والطغيان وكونهم من فريق الشيطان

واعلم أيها الاخ العلامة الباحث المدقق ان أولئك الاقوام لم يكونوا من العقلاء المنصفين ولا من الذين رجعوا الى افكارهم الحكيمة يوماً من الأيام حتى يظهر لهم الحق من خلال البحث والتنقيب فى قضايا الدين الاسلامى المبين

فان النبى محمداً صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب ببعض معجزاته وهو القرآن العظيم لكونه أمياً لم يتاق علماً ولا درس معارف بل فقد ابويه طفلاً ولم يجد نصيراً على كفالته الكفالة البسيطة التى تقوم بأوده وتربى جسمه حكمة الله البالغة فى وجوده صلى الله عليه وسلم اعلاء لشأن اميته وتمكيناً لدعوته وهيمنة على صدقه فى نبوته ورسالته فتحدى بالقرآن من وجوه شتى وضروب مختلفة تحدّاهم بفصاحته وبلاغته حيث هم فى الطبقة العالية من الفصاحة والبلاغة ولاشغل لهم فى ابّان ظهوره ووقت اشراق نوره الا المفاخرة بالبلاغة والفصاحة شعراً ونظماً ونثراً وسجعاً ورجزاً ولاسيما قبيلة قريش التى كانت محط رحال القبائل فى الفصاحة والبلاغة ومنتدى علومهم ومعارفهم بحيث لا يثق احدهم بماقاله من شعر ونظم الا بعد عرضه بسوق عكاظ الذي كان ينعقد فى كل سنة يمكث ماشاء أهله ان يمكث

تحداهم بالقرآن لانه قد جاء على خلاف نظم الشعر بطريقة لم يسبق بها ونظم قد جاء غريباً فذاً لايضاهى ولايضارع ولايمارى تحداهم به اذ قد جاء فيه المطرب والمغرب بقصص الماضين نظماً مونقاً وقولا عجيباً فيه الايجاز والاطناب بصورة مدهشة وحقيقة خالبة للعقول محيرة للافكار فيه الصدق باد فى خلاله والحق متخلل فى جلاله الموشى بجماله

تحداهم به وفيه من آيات الغيب ماصدقه الزمان بحوادثه وغرائبه فأرجع الكهان الى الوراء وأسقطهم هم وتوابعهم من عالى الذرى فمحا الله به آيات الضلال من عقول الاقيال من الرجال وتبدل شقاؤهم سعداً وضعفهم سودداً فبعد ان كانوا يفدون على الكهان زرافات ووحداناً وبعد ان كانوا يزجرون الطير ويقولون بصفر والهامة لجؤا الى الله تعالى واستمعوا لما يوحى لنبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام وأصبحوا حماة لدينه القويم وملته السمحاء وبعدان كانوا اشداء فى مدافعته عن ثلم دينهم تراموا على أقدامه وتهافتوا على راحته وامتشقوا الحسام فى وجوه القائمين فى وجه دعوته

أفليسوا هم الذين كانوا يعضون على معتقداتهم بالنواجذ ويدافعون عنها بالانفس والنفائس

فمحمد الأمي تحداهم ببعض معجزاته وهو القرآن ولوكان مبطلا وكان ادعاؤه افتراء لامكن لكل امى مثله فى الامية أو لكل متعلم وهو اعلم منه واعرف أن يأتى بمثل اقصر سورة وقد علمت انه لم يأت احد

بمثل هذا القرآن لا من الإميين ولا من المتعلمين فهو معجزة كبرى وآية عظمى

أما موسى عليه الصلاة والسلام فقد أتى حقاً بكتاب يقال له التوراة أنزل عليه باللغة العبرانية ولامشاحة فى أنه فصيح وبليغ كما يقتضيه الشأن الالهي بل ابلغ وافصح من كل كتاب يكتبه الافراد فى زمان النبي موسى عليه الصلاة والسلام ولكنّ موسى لم يقل عن كتابه هذا انه معجزة ولم يقل بذلك أحد من بنى اسرائيل فان النبي موسى لم يكن امياً كما كان محمد أمياً بل تربى موسى فى دار فرعون مصر وفى حجر ابنته كما في التوراة ومصر فى ذلك العهد كانت روضة العلوم ومنبع المعارف تشهد لذلك التواريخ الصحيحة وآثارها العلمية الباقية حتى اليوم ولا جرم انها كانت تشد لها الرحال من اقصى المعمورة وحكماء اليونان القدماء المشهورون بالعلم والحكمة والفلسفة لم يشتهر امرهم ولا طبق الآفاق صيتهم الا بعد اتمام الدرس والتهذيب في المدارس والمعابد المصرية

موسى قرأ وكتب وناظر في العلوم والمعارف حتي فاق اقرانه وتهذب بكل حكمة المصريين وكان مقتدراً فى الاقوال والافعال كلسان التوراة والانجيل ولم تأته النبوة والرسالة الا على رأس الثمانين سنة من عمره وجدير بمثل هذا الحكيم العالم العارف ان يأتى فى كتابه ببلاغة وفصاحة لا تخرج عن حد ماتعلم ولم يقل ان كتابه معجز البشر لانه اميّ وقد اتى به وهو لم يتعلم بل كان متعلماً ومهذباً على ايدي العلماء وفحول الحكماء مربى فى مهد العز ومناخ الرفاهية والشرف شأن اولاد

الملوك وكبار الاعالى والاعاظم

فبين موسى ومحمد البون الشاسع والمدى الواسع فالاول تهذب بكل حكمة المصريين في بيت الملك والفخامة والثانى فقد ابويه طفلاً ولم يجد من يكفله فتربى يتيماً ولقد عرض وقت ولادته على المرضعات فأبين ان يرضعنه كما يفعلن عادة مع الاطفال الايتام لولا ان قيض الله له حليمة السعدية فاحتملته وأرضعته ولذا يقول عليه الصلاة والسلام أدبنى ربى فاحسن تأديبي وربيت فى بنى سعد اي أدبني ربى لانه لم يجد من يؤدبه من اهله وذوى قرابته فاحسن تأديبه واليتيم عادة لاتحسن تربيته الابعناية الله تعالى عناية خاصة كما هو الشأن الالهى واللطف الربانى معه صلى الله عليه وسلم وانه ربي فى بنى سعد اى بقبيلة حليمة مرضعته بعيداً من اهله ليتم له ما اراد الله من تهذيب وتثقيف مناسب وموافق لحالته

واذ قد علمت ان موسى قد تعلم وتهذب بل فاق المصريين علماً وادباً وحاز قصبات السبق فى المعارف فلا يقال اذا جاء بالتوراة بليغة ان ذلك معجز البشر نعم ان التوراة لم يأت بها موسى من عند نفسه بل آيات الله قد أنزلت عليه ولكن تلك الآيات لو اشير فيها انها معجزة للبشر لصادف موسى تعباً ونصباً ولكان قد كذبه قومه لانه متعلم متهذب ومدرب بل هي في امكانه ومن مقدوره وماصحت نسبتها الى مولاه الا بما اعطاه من الآيات الظاهرة والمعجزات الباهرة التى كانت سبباً كلياً فى خروج بنى اسرائيل من مصر بعد أن كانوا فى رق العبودية والاسر وكذا الحال والشأن فى عيسى النبى وكتابه الانجيل فان المعروف

عنـــه والمحقق من سيرته انه تعلم العلوم والمعارف والصنائع وسافر الى مصر واقام بها مدة وسافر الى غيرها وتجول وتنقل فى القرى والامصار فلقـــد كفله يوسف النجار وهو مشهور بالعالمية والقداسة وله بوالدته السيدة مريم العناية الكبرى والرعاية العظمى

ومن ادوار حياة السيد المسيح تعلم أنه قد تعلم وتهذب على ايدي العلماء في عصره وتثقف عقله فى رحلاته مع يوسف النجار وبعده فى اسفاره الخصوصية ولاغرو أن المتعلم العارف المهذب المثقف اذا عقد للمعانى كتاباً فلا بد وان يكون مناسباً لحال علمه وادبه ومن هـــذا الباب لا يسمى معجزة

على اننا لو ناسبنا بين بلاغة التوراة والانجيل وبلاغة القرآن الجليل على انها كتب الهية وعرضناها على من له بعض المام بعلوم البلاغة لمـــا صدق ان التوراة ومماثلها الانجيل كلم الهية والفاظ ربانية او أنهما قد أتى بهما بلغاء وفصحاء بل رفضهما رفضاً وانكرهما انكاراً وانا نشير الى ذلك بنموذج يسير فى الفصل الآتي

« فصل »

﴿ فى المقابلة بين التوراة والانجيل والقرآن الجليل فى الفاظ ومعانى التنزيل ﴾

لما كنت اعلم يقيناً ان اخوانى المؤمنين لا يعبؤن بمطالعة التوراة والانجيل ولا يرضون على الاطلاق بمدارسة ما فيهما لعلمهم بانهم فى

غنى عنهما بل وعن كل كتاب نزل من السماء لاحتواء القرآن العظيم على خلاصة ما فيهما وزبدة شأنهما ولا سيما بعد ان تحققوا بما وقع فيهما من التحريف الحرفى والمعنوى فى مواضع كثيرة لاثبات ما عن لذويهما من التحوير فى اصل عقيدتهم المستنبطة من افكارهم نزهوا انفسهم عن اضاعة اوقاتهم الثمينة فى قراءتهما والعلم بما فيهما

ولكننى لم احفل بهـذا الرأي وعنيت بمطالعة الكتابين التوراة والانجيل ودرس ما اشتملا عليه درساً تحقيقياً وكذا ما فسرا به من التفاسير المختلفة والشروح الوافية وغير الوافية وكذا ماهنالك من كتب مؤلفة فى اصول الديانتين الموسوية والعيسوية حتى اجتمع عندي من المؤلفات الخاصة بهما نحو المائة مجلد

وذلك لما كنت اظنه من ان التغيير الذي حدث لا يمكن ان يتناول كل الكتابين ولأن المتصدي لرد الفرية وتكذيب الافك لا يستغنى عن معرفة اصول ما عند الخصوم لامكان افحامهم بما دانوا به واتخذوه حجة فى معتقداتهم

وقد صح الظن اذ قد وجدت فيهما اصولاً وفصولاً لم يعترها التغيير ولا التبديل لموافقة القرآن عليها ووضوحها في سوره الكريمة وآياته العظيمة

وامكن لنا أن نضع كتابنا (الحياة السـعيدة) الذى بين بعبارات واضحة محجة القرآن السمحاء الناصعة

ومع هذا لا استحسن من احد مطالعة فى غير كتب الدين الاسلامي

عملاً بقول الصادق المصدوق محمد عليه الصلاة والسلام كما سيجيء فى هذا الكتاب بعد فى موضعه

انما نريد ان نضع هنا بعض الفاظ ومعان من التوراة والانجيل فى مواضع ومواقع مختلفة ونضع بازائها الآيات البينات الواردة فى القرآن الشريف فى تلك المواقع وهذه المواضع ليظهر الفرق كالصبح فى جبين الليل البهيم

نعم نكون قد أسأنا الصنع بهذه المقابلة واخطأنا الوجهة الحقة بهذه المناظرة والمماثلة ولكن احكام الضرورات مسلمة عند اهل الفطن فلا يشذوا علينا النكير بعد مارأيناه فى آيات القرآن من الاستشاطة والحدة تلقاء هذه المقابلة ولما رأت الآيات الكريمة انها لابد من ان توضع هذا الوضع سرت انوارها المدهشة ومعانيها الرهيبة والمنعشة على ارجاء هذه الصفحات واضاءت على ليل مقابلها حتى محا نهارها آية ليله وغطته وغشيته لتكون هى الوحيدة والفريدة المتجلية بنورها على عرش القلوب والافكار وهاك ذاك المنظر اللطيف ومعرض التقى والسفيف

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين	واخذ الرب الاله آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها وأوصى الرب الاله آدم قائلاً من جميع شجر الجنة تأكل اكلا وأما شجرة

(آيات القرآن الشريف)

فوسوس لهما الشيطان ليبدى
لهما ما ووری عنهما من
سوآتهما وقال مانهاكما ربكما
عن هذه الشجرة الا أن تكونا
ملكين او تكونا من الخالدين
وقاسمهما انى لكما لمن
الناصحين فدلاهما بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما
سوآتهما وطفقا يخصفان
عليهما من ورق الجنة وناداهما
ربهما ألم أنهكما عن تلكما
الشجرة وأقل لكما ان
الشيطان لكما عدو مبين قالا
ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من
الخاسرين قال اهبطوا بعضكم
لبعض عدو ولكم فى الارض
مستقر ومتاع الى حين قال

(فواصل التوراة)

معرفة الخير والشر فلاتأكل منها
لانك يوم تأكل منها موتاً تموت
الفواصل (١٥ و١٦ و١٧ من
الاصحاح الثانى من سفر التكوين)
وكانت الحية أحيل جميع حيوانات
البرية التى عملها الرب الاله فقالت
للمرأة أحقاً قال الله لاتأكلا من
كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية
من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر
الشجرة التى في وسط الجنة فقال
الله لاتأكلا منه ولاتمساه لئلا تموتا
فقالت الحية للمرأة لن تموتا
بل الله عالم انه يوم تأكلان منه
تفتح اعينكما وتكونان كالله عارفين
الخير والشر فرأت المرأة ان الشجرة
جيدة للأكل وانها بهجة للعيون
وان الشجرة شهية للنظر فأخذت من
ثمرها واكلت وأعطت رجلها ايضاً
معها فاكل فانفتحت اعينهما وعلما

(آيات القرآن الشريف)

فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . من الآية (١٨) الى الآية (٢٤) من سورة الاعراف التي انزلت بمكة

(فواصل التوراة)

انهما عريانان نخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مآزر

وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة فنادى الرب الاله آدم وقال له أين انت فقال سمعت صوتك في الجنة نخشيت لانى عريان فاختبأت فقال من اعلمك انك عريان هل اكلت من الشجرة التى اوصيتك أن لا تأكل منها فقال آدم المرأة التى جعلتها معى هى اعطتنى من الشجرة فاكلت فقال الرب الاله للمرأة ماهذا الذى فعلت فقالت المرأة الحية غرتنى فاكلت فقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة انت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية على بطنك

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	تسعين وتراباً تأكلين كل ايام حياتك وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وانت تسحقين عقبه وقال للمرأة تكثيراً اكثر أتعاب حبلك بالوجع تلدين اولاداً والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك وقال لآدم لانك سمعت لقول امرأتك واكلت من الشجرة التي اوصيتك قائلاً لا تأكل منها ملعونة الارض بسببك بالتعب تأكل منها كل ايام حياتك وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود الى الارض التي اخذت منها لانك تراب والى تراب تعود من الفواصل (١) الى (١٩) من الاصحاح الثالث من سفر التكوين

(آيات القرآن الشريف)

واتل عليهم نبأ ابنى آدم
بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من
الآخر قال لأقتلنك قال انما
يتقبل الله من المتقين لئن
بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما أنا
بباسط يدي اليك لأقتلك انى
أخاف الله رب العالمين انى
اريد أن تبوء باثمى واثمك
فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين فطوعت
له نفسه قتل اخيه فقتله
فأصبح من الخاسرين

من الآية (٣٠) الى
الآية (٣٤) من سورة المائدة

(فواصل التوراة)

وعرف آدم حواء امرأته فحبلت
وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا
من عند الرب ثم عادت فولدت اخاه
هابيل وكان هابيل راعياً للغنم وكان
قايين عاملاً فى الارض وحدث من
بعد ايام ان قايين قدم من اثمار الارض
قرباناً للرب وقدم هابيل ايضاً من
ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب
الى هابيل وقربانه ولكن الى قايين
وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً
وسقط وجهه فقال الرب لقايين لماذا
اغتظت ولماذا سقط وجهك ان
احسنت أفلا رفع وان لم تحسن فعند
الباب خطية رابضة واليك اشتياقها
وانت تسود عليها

وكلم قايين هابيل أخاه وحدث
اذ كانا فى الحقل ان قايين قام على
هابيل اخيه وقتله فقال الرب لقايين

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	اين هابيل اخوك فقال لا أعلم أحارس أنا لأخي فقال ماذا فعلت صوت دم اخيك صارخ الىّ من الارض فالآن ملعون انت من الارض التى فتحت فاها لتقبل دم اخيك من يدك . من الفواصل (١) الى (١١) من الاصحاح الرابع من سفر التكوين
وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون	كان نوح رجلاً باراً كاملا فى اجياله وسار نوح مع الله وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث وفسدت الارض امام الله وامتلأت الارض ظلماً ورأى الله الارض فاذا هى قد فسدت اذ كان كل بشر قد افسد طريقه على الارض فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي لان الارض امتلأت ظلماً منهم فها أنا مهلكهم مع الارض

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين انى اريد أن تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فأصبح من الخاسرين من الآية (٣٠) الى الآية (٣٤) من سورة المائدة	وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب ثم عادت فولدت اخاه هابيل وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً فى الارض وحدث من بعد ايام ان قايين قدم من اثمار الارض قرباناً للرب وقدم هابيل ايضاً من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وقربانه ولكن الى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه فقال الرب لقايين لماذا اغتظت ولماذا سقط وجهك ان احسنت أفلا رفع وان لم تحسن فعند الباب خطية رابضة واليك اشتياقها وانت تسود عليها وكلم قايين هابيل أخاه وحدث اذ كانا فى الحقل ان قايين قام على هابيل اخيه وقتله فقال الرب لقايين

(آيات القرآن الشريف)

وأوحى الى نوح أنه لن
يؤمن من قومك الاّ من قد
آمن فلاتبتئس بماكانوايفعلون
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا
ولا تخاطبني فى الذين ظلموا
انهم مغرقون ويصنع الفلك
وكلما مرّ عليه ملأ من
قومه سخروا منه قال ان
تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون فسوف تعلمون

(فواصل التوراة)

اين هابيل اخوك فقال لا أعلم
أحارس أنا لأخي فقال ماذا فعلت
صوت دم اخيك صارخ اليّ من
الارض فالآن ملعون انت من
الارض التى فتحت فاها لتقبل دم
اخيك من يدك . من الفواصل (١)
الى (١١) من الاصحاح الرابع من
سفر التكوين

كان نوح رجلاً باراً كاملا فى
اجياله وسار نوح مع الله وولد نوح
ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث وفسدت
الارض امام الله وامتلأت الارض
ظلماً ورأى الله الارض فاذا هى قد
فسدت اذ كان كل بشر قد افسد
طريقه على الارض

فقال الله لنوح نهاية كل بشر
قد أتت أمامي لان الارض امتلأت
ظلماً منهم فها أنا مهلكهم مع الارض

(آيات القرآن الشريف)

من يأتيه عذاب يخزيه ويحل
عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء
أمرنا وفار التنور قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين
وأهلك الا من سبق عليه
القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل وقال اركبوا
فيها بسم الله مجريها ومرسيها
ان ربي لغفور رحيم وهي
تجري بهم في موج كالجبال
ونادى نوح ابنه وكان في
معزل يابني اركب معنا ولا
تكن مع الكافرين قال سآوي
الى جبل يعصمني من الماء
قال لا عاصم اليوم من أمر
الله الا من رحم وحال بينهما
الموج فكان من المغرقين
وقيل يا أرض ابلعي ماءك

(فواصل التوراة)

اصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر
تجعل الفلك مساكن وتطليه من
داخل ومن خارج بالقار وهكذا
تصنعه ثلاثمائة ذراع يكون طول
الفلك وخمسين ذراعاً عرضه وثلاثين
ذراعاً ارتفاعه وتصنع كوّا للفلك
وتكمله الى حد ذراع من فوق وتضع
باب الفلك في جانبه مساكن سفلية
ومتوسطة وعلوية تجعله فها أنا آت
بطوفان الماء على الارض لاهلك كل
جسد فيه روح حياة من تحت السماء
كل ما في الارض يموت ولكن اقيم
عهدي معك فتدخل الفلك أنت
وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك
ومن كل حي من كل ذي جسد
اثنين من كل تدخل الى الفلك
لاستبقائها معك تكون ذكراً وانثى من
الطيور كاجناسها ومن البهائم كاجناسها

(آيات القرآن الشريف)

ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين . من الآية (٣١) الى (٤٤) من سورة هود

(فواصل التوراة)

ومن كل دبابات الارض كاجناسها اثنين من كل تدخل اليك لاستبقائها وانت نخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك فيكون لك ولها طعاماً ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله هكذا فعل

من الفواصل (٩) الى الفوصل (٢٢) من سفر التكوين فى الاصحاح السادس

وقال الرب لنوح ادخل انت وجميع بيتك الى الفلك لانى اياك رأيت باراً لدىّ فى هذا الجيل من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكراً وانثى ومن البهائم التى ليست بطاهرة اثنين ذكراً وانثى ومن طيور السماء ايضاً سبعة سبعة ذكراً وانثى لاستبقاء نسل على وجه كل الارض لانى بعد سبعة ايام ايضاً أمطر على الارض اربعين يوماً واربعين

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	ليلة وامحو عن وجه الارض كل قائم عملته ففعل نوح حسب كل ما امره به الرب ولما كان نوح ابن ستمائة سنة صار طوفان الماء على الأرض فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه الى الفلك من وجه مياه الطوفان ومن البهائم الطاهرة والبهائم التى ليست بطاهرة ومن الطيور وكل ما يدب على الارض دخل اثنان اثنان الى نوح الى الفلك ذكراً وانثى كما امر الله نوحاً وحدث بعد السبعة ايام ان مياه الطوفان صارت على الارض فى سنة ستمائة من حياة نوح فى الشهر الثانى فى اليوم السابع عشر من الشهر فى ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء وكان المطر على الارض اربعين يوماً واربعين

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	ليلة فى ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم الى الفلك هم وكل الوحوش كاجناسها وكل البهائم كاجناسها وكل الدبابات التى تدب على الارض كاجناسها وكل الطيور كاجناسها كل عصفور كل ذى جناح ودخلت الى نوح الى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة والداخلات دخلت ذكراً وانثى من كل ذى جسد كما امره الله واغلق الرب عليه وكان الطوفان اربعين يوماً على الارض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الارض وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الارض فكان الفلك يسير على وجه المياه وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الارض فتغطت

(آيات القرآن الشريف)		(فواصل التوراة)
		جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال. فمات كل ذي جسد كان يدب على الارض من الطيور والبهائم والوحوش. وكل الزحافات التى كانت تزحف على الارض وجميع الناس كل مافى أنفه نسمة روح حياة من كل مافى اليابسة مات فمحا الله كل قائم كان على وجه الارض الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الارض وتبقى نوح والذين معه فى الفلك فقط وتعاظمت المياه على الارض مائة وخمسين يوماً اه الاصحاح السابع جميعه من سفر التكوين
		ثم ذكر الله نوحاً وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك واجاز الله ريحاً على الارض فهدأت المياه

(آيات القرآن الشريف)

ولقد جاءت رسلنا ابراهيم
بالبشرى قالوا سلاما قال سلام
فما لبث أن جاء بعجل حنيذ
فلما رآى أيديهم لا تصل
اليه نكرهم وأوجس منهم

(فواصل التوراة)

وانسدت ينابيع الغمر وطاقات
السماء فامتنع المطر من السماء ورجعت
المياه عن الارض رجوعاً متوالياً
وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه
واستقر الفلك فى الشهر السابع في
اليوم السابع عشر من الشهر على
جبال أراراط وكانت المياه تنقص
نقصاً متوالياً الى الشهر العاشر وفى
العاشر فى اول الشهر ظهرت رؤس
الجبال

من الفاصلة (١) الى الفاصلة
(٥) من الاصحاح الثامن من سفر
التكوين

وظهر له الرب عند بلوطات
ممرا وهو جالس فى باب الخيمة وقت
حر النهـار فرفع عينيه ونظر واذا
ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر
ركض لاستقبالهم من باب الخيمة

(آيات القرآن الشريف)

خيفة قالوا لا تخف انا أرسلنا
الى قوم لوط وامرأته قائمة
فضحكت فبشرناها باسحاق
ومن وراء اسحاق يعقوب
قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز
وهذا بعلى شيخاً ان هذا
لشيء عجيب قالوا أتعجبين
من امر الله رحمة الله وبركاته
عليكم اهل البيت انه حميد
مجيد فلما ذهب عن ابراهيم
الروع وجاءته البشرى يجادلنا
فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم
أوّاه منيب يا ابراهيم أعرض
عن هذا انه قدجاء امر ربك
وانهم آتيهم عذاب غير مردود
ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء
بهم وضاق بهم ذرعاً وقال
هذا يوم عصيب وجاءه قومه

(فواصل التوراة)

وسجد الى الارض وقال ياسيد ان
كنت قد وجدت نعمة فى عينيك
فلا تتجاوز عبدك ليؤخذ قليل ماء
واغسلوا ارجلكم واتكئوا تحت
الشجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون
قلوبكم ثم تجتازون لانكم قد مررتم
على عبدكم فقالوا هكذا انفعل كما تكلمت

فاسرع ابراهيم الى الخيمة الى
سارة وقال اسرعى بثلاث كيلات
دقيقاً سميذاً اعجنى واصنعى خبزملة
ثم ركض ابراهيم الى البقر واخذ
عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام
فاسرع ليعمله ثم اخذ زبداً ولبناً
والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم
واذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة
اكلوا

وقالوا له أين سارة امرأتك
فقال ها هي فى الخيمة فقال انى

(آيات القرآن الشريف)

يهرعون اليه ومن قبل كانوا
يعملون السيئات قال ياقوم
هؤلاء بناتي هن اطهر لكم
فاتقوا الله ولا تخزون فى
ضيفى أليس منكم رجل رشيد
قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك
من حق وانك لتعلم ما نريد
قال لو ان لى بكم قوة أو آوى
الى ركن شديد قالوا يالوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فأسر باهلك بقطع من الليل
ولا يلتفت منكم احد الا
امرأتك انه مصيبها ما أصابهم
ان موعدهم الصبح أليس
الصبح بقريب فلما جاء امرنا
جعلنا عاليها سافلها وامطرنا
عليها حجارة من سجيل
منضود مسومة عند ربك وما

(فواصل التوراة)

ارجع اليك نحو زمان الحياة ويكون
لسارة امرأتك ابن وكانت سارة
سامعة فى باب الخيمة وهو وراءه
وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين
فى الايام وقد انقطع ان يكون لسارة
عادة كالنساء فضحكت سارة فى باطنها
قائلة أبعد فنائى يكون لى تنعم وسيدى
قد شاخ فقال الرب لابراهيم لما ذا
ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وانا
قد شخت هل يستحيل على الرب
شىء فى الميعاد ارجع اليك نحو زمان
الحياة ويكون لسارة ابن فانكرت
سارة قائلة لم اضحك لانها خافت فقال
لا بل ضحكت •

ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا
نحو سدوم وكان ابراهيم ماشياً
ليشيعهم فقال الرب هل اخفى عن
ابراهيم ما انا فاعله وابراهيم يكون

(آيات القرآن الشريف)		(فواصل التوراة)
هي من الظالمين ببعيد . من الآية (٦٩) الى الآية (٨٢) من سورة هود المكية		امة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع امم الارض لانى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده ان يحفظوا طريق الرب ليعملوا براً وعدلاً لكى يأتى الرب لابراهيم بما تكلم به وقال الرب ان صراخ سدوم وعمورة قد كثر وخطيتهم قدعظمت جداً انزل وارى هل فعلوا بالتمام حسب صراخها الآتى الىّ والا فاعلم وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما ابراهيم فكان لم يزل قائماً امام الرب فتقدم ابراهيم وقال أفتهلك البار مع الاثيم عسى ان يكون خمسون باراً في المدينة افتهلك المكان ولا تصفح عنه من اجل الخمسين باراً الذين فيه حاشا لك ان تفعل مثل هذا الامر أن تميت البار مع الاثيم فيكون البار كالاثيم حاشا لك أديان كل الارض

(آيات القرآن الشريف)		(فواصل التوراة)
		لا يصنع عدلاً فقال الرب ان وجدت في سدوم خمسين باراً في المدينة فاني اصفح عن المكان كله من اجلهم فاجاب ابراهيم وقال اني قد شرعت اكلم المولى وانا تراب ورماد ربما نقص الخمسون باراً خمسة أتهلك كل المدينة بالخمسة فقال لا أُهلك ان وجدت هناك خمسة واربعين فعاد يكلمه ايضاً وقال عسى ان يوجد هناك اربعون فقال لا أفعل من اجل الاربعين فقال لا يسخط المولى فاتكلم عسى ان يوجد هناك ثلاثون فقال لا أفعل ان وجدت هناك ثلاثين فقال اني قد شرعت اكلم المولى عسى ان يوجد هناك عشرون فقال لا اهلك من اجل العشرين فقال لا يسخط المولى فاتكلم هذه المرة فقط عسى ان يوجد هناك عشرة فقال لا اهلك

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	من اجل العشرة وذهب الرب عند ما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم الى مكانه الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين فجاء الملاكان الى سدوم مساء وكان لوط جالساً فى باب سدوم فلما رآهما لوط قام لاستقبالهما وسجد بوجهه الى الارض وقال يا سيديّ ميلاً الى بيت عبدكما وبيتا واغسلا أرجلكما ثم تبكران وتذهبان فى طريقكما فقالا لا بل فى الساحة نبيت فألح عليهما جداً فمالا اليه ودخلا بيته فصنع لهما ضيافة وخبز فطير فاكلا وقبلما اضطجعا احاط بالبيت رجال المدينة رجال سدوم من الحدث الى الشيخ كل الشعب من

(آيات القرآن الشريف)		(فواصل التوراة)
		اقصاها فنادوا لوطا وقالوا له اين الرجلان اللذان دخلا اليك الليلة أخرجهما الينا لنعرفهما نخرج اليهم لوط الى الباب وأغلق الباب وراءه وقال لا تفعلوا شراً يا اخوتى هو ذا لى ابنتان لم تعرفا رجلاً أخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما يحسن فى عيونكم وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لانهما قد دخلا تحت ظل سقفى فقالوا ابعد الى هناك ثم قالوا جاء هذا الانسان ليتغرب وهو يحكم حكماً الآن نفعل بك شراً اكثر منهما فألحوا على الرجل لوط جداً وتقدموا ليكسروا الباب فمدّ الرجلان ايديهما وادخلا لوطاً اليهما الى البيت واغلقا الباب واما الرجال الذين على باب البيت فضرباهم بالعمى من الصغير الى الكبير فعجزوا عن

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل التوراة)
	أن يجدوا الباب وقال الرجلان للوط من لك ايضاً ههنا اصهارك وبنيك وبناتك وكل من لك فى المدينة اخرج من المكان لاننا مهلكان هذا المكان اذ قدعظم صراخهم امام الرب فارسلنا الرب لنهلكه فخرج لوط وكلم اصهاره الآخذين بناته وقال قوموا اخرجوا من هذا المكان لان الرب مهلك المدينة فكان كمازح في اعين اصهاره ولما طلع الفجر كان الملاكان يعجلان لوطاً قائلين قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك باسم المدينة ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد ابنتيه اشفقة الرب عليه واخرجاه ووضعاه خارج المدينة وكان لما اخرجاهم الى خارج انه قال اهرب لحياتك لا تنظر الى ورائك

(فواصل التوراة)		(آيات القرآن الشريف)
ولا تقف فى كل الدائرة اهرب الى الجبل لئلا تهلك فقال لهما لوط لا ياسيد هوذا عبدك قد وجد نعمة فى عينيك وعظمت لطفك الذي صنعت الىّ باستبقاء نفسي وأنا لا اقدر ان اهرب الى الجبل لعل الشر يدركني فأموت هوذا المدينة هذه قريبة للهرب اليها وهي صغيرة أهرب الى هناك أليست هي صغيرة فتحيا نفسى فقال له انى قد رفعت وجهك فى هذا الامر ايضاً ان لا اقلب المدينة التى تكلمت عنها اسرع اهرب الى هناك لانى لااستطيع ان افعل شيئاً حتى تجىء الى هناك لذلك دعى اسم المدينة صوغر واذ أشرقت الشمس على الارض دخل لوط الى صوغر فامطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من		

(آيات القرآن الشريف)

وهل اتاك حديث موسى
اذ رأى ناراً فقال لاهله
امكثوا انى آنست ناراً لعلى
آتيكم منها بقبس او اجد على
النار هدى فلما أتاها نودى
ياموسى انى انا ربك فاخلع
نعليك انك بالواد المقدس
طوى وانا اخترتك فاستمع
لما يوحى اننى انا الله لااله الا
انا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى
ان الساعة آتية اكاد اخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى فلا

(فواصل التوراة)

عند الرب من السماء وقلب تلك المدن
وكل الدائرة وجميع سكان المدن
ونبات الارض ونظرت امرأته من
ورائه فصارت عمود ملح

من الفاصلة (١) الى الفاصلة
(٢٦) من الاصحاح التاسع عشر من
سفر التكوين

وأما موسى فكان يرعى غنم
يثرون حميه كاهن مديان فساق
الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل
الله حوريب وظهر له ملاك الرب
بلهيب نار من وسط عليقة فنظر واذا
العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن
تحترق فقال موسى اميل الآن لانظر
هذا المنظر العظيم لماذا لاتحترق
العليقة فلما رأى الرب انه مال لينظر
ناداه الله من وسط العليقة وقال موسى
موسى فقال ها اناذا فقال لاتقترب

(آيات القرآن الشريف)

يصدنك عنها من لايؤمن بها
واتبع هواه فتردى وما تلك
بيمينك ياموسى قال هى عصاي
اتوكأ عليها واهش بها على
غنمي ولى فيها مآرب اخرى
قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا
هى حية تسعى قال خذها ولا
تخف سنعيدها سيرتها الاولى
واضمم يدك الى جناحك
تخرج بيضاء من غير سوء آية
اخرى لنريك من آياتنا الكبرى
اذهب الى فرعون انه طغى
قال رب اشرح لى صدرى
ويسرلى امرى واحلل عقدة
من لسانى يفقهوا قولى
واجعل لى وزيراً من اهلى
هارون اخى اشدد به ازرى
وأشركه فى امرى كي نسبحك
كثيراً ونذكرك كثيراً انك
كنت بنا بصيراً قال قد
أوتيت سؤلك ياموسى . من

(فواصل التوراة)

الى هاهنا اخلع حذاءك من رجليك
لان الموضع الذى انت واقف عليه
ارض مقدسة
من الفاصلة (١) الى الفاصلة (٥)
من الاصحاح الثالث من سفر الخروج
فقال له الرب ما هذه فى يدك
فقال عصا فقال اطرحها الى الارض
فطرحها الى الارض فصارت
حية فهرب موسى منها ثم قال الرب
لموسى مد يدك وامسك بذنبها فمد
يده وامسك به فصارت عصا فى يده
من الفاصلة (٢) الى الفاصلة
(٤) من الاصحاح الرابع من سفر
الخروج
ثم قال له الرب ايضا أدخل
يدك فى عبك فادخل يده فى عبه ثم
أخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج
ثم قال له رد يدك الى عبك فرد يده
الى عبه ثم اخرجها من عبه واذا
هي قد عادت مثل جسده
من الفاصلة (٦) الى الفاصلة (٧)

(آيات القرآن الشريف)

الآية (٩) الى الآية (٣٦) من سورة طه وهى مكية

(فواصل التوراة)

من الاصحاح السالف

ثم كلم الرب موسى قائلاً ادخل قل لفرعون مصر ان يطلق بنى اسرائيل من ارضه فتكلم موسى امام الرب قائلاً هوذا بنو اسرائيل لم يسمعوا لى فكيف يسمعنى فرعون وانا اغلف الشفتين

من الفاصلة (١٠) الى الفاصلة (١٢) من الاصحاح السادس من سفر الخروج

(فواصل الانجيل)

ان الانجيل لم يتعرض لذكر قصص الماضين ولم يذكر شيئاً منها الا مبتوراً لا يمكن الاتيان به شاهداً على ما هنالك وانما بولس فى سفر الاعمال لماساق خبر موسى قال ولما كملت اربعون سنة ظهر له ملاك الرب في برية جبل سيناء في لهيب نار عليقة فلمارأى موسى ذلك تعجب من المنظر وفيما هو يتقدم

(آيات القرآن الشريف)	(فواصل الانجيل)
	ليتطلع صار اليه صوت الرب انا اله آبائك اله ابراهيم واله اسحاق واله يعقوب فارتعد موسى ولم يجسر ان يتطلع فقال له الرب اخلع نعل رجليك لان الموضع الذى انت واقف عليه ارض مقدسة

« فصل »

(فيما يورده العقل من الملاحظات فى تلك المقابلة)

قبل ان تظهر الفرقة الانجيلية كان الكتاب المقدس (التوراة) و(الانجيل) غير منتشر وليس له من التفاسير ماله الآن وكان اصحاب المراتب الدينية قد قصروا معرفة الكتاب على انفسهم وذلك لأمرين عظيمين . الاول وهو مالا يمكن ان يصرحوا به وهو ان يجعلوا الشعب جاهلاً ما هو مطلوب منه فى اموره الدينية وليكون دائماً فى احتياج الى تعاليم القائمين بامورهم الدينية والشخصية فى جميع احوالهم

والثانى مافهم الآن من القرائن والاحوال الظاهرة وهو ان الكتاب اذا نشر يكون عليه من الملاحظات مالا يثبت القلوب على قواعده

وقد كان ذلك فان الفرقة الانجيلية لما قامت بنشر التعاليم الدينية

ومن جملتها أن نشروا الكتاب المقدس فى اقطار الارض وباينوا الفرقتين الاخريين الارثوذكسية والكاثوليكية بما وضعوه من التعاليم وقوموا به اوهام رؤساء الدين من تينك الفرقتين

وجد عقلاؤهم ولاسيما فى البلاد الاوروباوية مجالاً للقول ومتسعاً للكلام فيما يبدو للناظر فى الكتاب المقدس وقامت ثورة العقول وما وضعت الحرب اوزارها الا عن خروج فريق عظيم وعدد جسيم من ربقة الديانة متحصنين بآرائهم الطبيعية وافكارهم العلمية ناقضين ما للدين المسيحى من القضايا باحكام العقول ونيرات الافكار واتسعت بهم دائرة الحرية فانكروا وجود البارىء تعالى بالمادة والطبيعة وعملوا فى الكون بعقولهم فاهتدوا الى مالم يهتد اليه احد من قبل فاخترعوا الآلات البخارية وسيروها فى البحر والبر واهتدوا الى استخدام القوة الكهربائية فاتسع بها مجال الصناعة والتجارة وزاد ترقي المدنية بما هو معروف ومحقق ومشاهد وكل اولئك المخترعين منفكون عن الدين يعدونه من لغو القول وباطل الحديث ويعدون المتمسكين به من اولى العقول السخيفة والاحلام الطائشة وكأنهم مع رزايا الكون وهموم الحياة ضغث على ابالة

ولذلك لايعبأ بقول من يقول ان الدين المسيحي كان سبباً فى نشر المدنية وارتقاء الشعوب فى مدارج التقدم

فان الدين المسيحى مضى على وجوده فى الارض نحو التسعمائة سنة والف والتقدم الذى عليه اوروبا الآن لم يمض عليه قرنان

بل كان نشره ضربة قاضية عليه وعلى ذويه من الوجهة الدينية ودان الناس لعقولهم وفضلوا ماتدلى اليه افكارهم ومحيت من اذهانهم السلطات الكنائسية والاحترامات الأبوية

ولما كان القرآن العظيم هو الكتاب الدينى الاسلامى الذي لم ينتشر عندهم ومكتوب بغير لغاتهم فكان نصيبه منهم ان قاسوه على الكتاب المقدس ولكن بعضهم رغب ان ينظر فيه ويطلع على ظاهره وخافيه فتوصل الى ترجمته من العربية كثيرة المواد الى اللغات الاجنبية وهي ضيقة لا تتسع لمجال المعانى المودعة به فرضى كلامه عن الاخلاق من طرف خفى ولكن المثابرة الآن على كشف الاثام عن محيا اللغة العربية شددت عزائمهم الى الغوص فى بحار معانيه لاستخراج درره ولآليه فبعد ان كان لا يسمع فى تلك الممالك اسم محمد والقرآن وان سمع فبالازدراء والاهانة اصبحت نوادى العلم تتلألأ بانوار الحقائق الاسلامية وعلوم الحضرة المحمدية وينادى على الملأ بحيّ على الصلاة حي على الفلاح فأنشئت دور للعلم الدينى والمعارف اللغوية العربية وانشئت المساجد والجوامع للصلاة كما هو معروف وحررت الرسائل ودارت المؤلفات بالثناء على محمد صلى الله عليه وسلم ودينه القويم

كل ذلك والقرآن لم يترجم بحقه ولا يفى بحق مافيه من المعاني والبلاغة والفصاحة في الفاظه الا اللغة العربية لاتساعها الغير منكور

ولوكان القرآن قد انزل بلغة اخرى وترجم منها الى العربية لزادت حلاوته فى الاذواق وظهرت طلاوته فى الاوراق .

على ان فريقاً عظيماً من الاورباويين الذين يرون تغليب السياسة على الدين خائفون من امتداد الدين الاسلامى المبين ومحوه الديانة المسيحية من الكرة الارضية ولكن لا يذكرون ذلك تصريحاً بل تلميحاً واذا ذكروا خوفهم من امتداده قالوا بانهم خائفون من ضياع املاكهم فى افريقية بكلام له من المغامز على افكارهم ونواياهم مالايكاد يخفى .
وانا نلخص ما جاء فى كلام بعض الاجانب فى رسالة بليغة الى صحيفة اوروبية منتشرة فى العالم انتشاراً كلياً اسمها (البتى چورنال) عربتها احدى الصحائف العربية بالقاهرة المعزية فى نهاية رجب سنة ١٣١٩ قال لايزال الدين الاسلامى يمتد وينتشر بسرعة غريبة بين سكان افريقية الوسطى والجنوبية وقدوصل الى بلاد سنغمبيا والى الصحراء حتى استولى على جميع البقاع التى يمر بها نهر النيجر الى اواسط افريقية وصرت ترى اليوم السلطنات الاسلامية وارفة الظلال فوق تلك الاراضى الخصيبة فتأسست بالدين الاسلامي كأعظم ما يكون من الممالك ولم يقف نجاح الاسلام فى انتشاره عند هذا الحد بل شمل اراضى الكونغو الشاسعة فوصل الى جنوب افريقية وقضى على سائر الديانات ومن المحتمل ان تصبح افريقية ملكاً له وان كان يملكها فى ظاهر الامر خمس دول او ست من دول اوروبا وانه اذا نظرنا من وجهة الفلسفة والمدنية وجدنا ان انتشار الدين الاسلامى فى تلك الاصقاع اعم نفعاً للانسانية من سلطة سائر ما يدين به اهلها لما هومشهور به من العدل والاحسان والرفق واللين وأما اذا نظرنا من الوجهة السياسية فالارجح للدول

الاوروباوية والانفع لعلاقاتها بسكان تلك الجهات ان يبقوا على فطرتهم الاولى ولا يخرجوا منها الى ما ليس على الاوروباويين قيادة أزمتهم معه بل يكون خروجهم من الفطرة القديمة الى المدنية الحديثة مباشرة على ايدى الاوروباويين ولكن كيف يكون ذلك ويتم امره على مانرغب وهذا الدين الاسلامى يتدفق على افريقية تدفق السيول حتى تناول ثلثيها تقريباً ولا بد ان يأتى على الثلث الآخر فى وقت قريب فتعلو اعلامه انحاء القارة الافريقية باسرها

فكيف به فى آسيا منبع اصله ومصدر ولادته فانه مازال يجول ويسرى في تلك النواحي حتى باغ مماكة الصين منذ القديم فان خطر امتداد الدين الاسلامى في البلاد الصينية لا يزال موجوداً قائماً ولقد ابتدأت بوادره يتجلى للعيون منذ اوائل القرن الماضى. ومما يذكر ان احد علماء مدارس الهند الاسلامية قال ان الحمية الاسلامية والغيرة الدينية المتسلطة على نفوس المسلمين الصينيين ستكفل لهم ان شاء الله انتشار دينهم بين بقية الاهالى وتحقق ظنونهم بقرب اليوم الذى ينتصر فيه الاسلام ويظفر بهذا الملك الواسع فيما بين الهند والصين وقد كتب اثنان من اشهر المختصين بهذه المباحث عن حالة الاسلام فى الصين شيئاً عظيماً منذ عهد قريب فقال عنه احدهما المعلم ڤاسايف الروسى فى سنة ١٨٦٧

من المقرر الثابت لدى اهل البحث والتدقيق ان الدين الاسلامى سيتوصل بحسن التدريج الى اقتلاع الدين المجوسى من الاصقاع الصينية والحلول محله ولا بد ان يكون لذلك شأن عظيم فى العالم وانقلاب كبير

فلو اصبح اهل الصين وهم ثلث اهل الارض عداً من اهل دين محمد فلا بد من وقوع الانحلال السياسى فى العالم فتمسى الديانة الاسلامية فى امتدادها من جبل طارق الى المحيط الباسيفيكى اكبر خطر واعظم نازلة على الدين المسيحى

وقال الباحث الثانى وهو المسترجس باترى من ارباب المراكز السياسية هذه العبارة سنة ١٨٧٥

لم يبق شك لدى من له ادنى وقوف على سيرة الدين الاسلامى فى انه قد قرب الاجل الذى يجعل له في الصين شأناً عظيماً واثراً كبيراً ولست اجد بداً من الاخذ برأى القائلين بان المسلمين سيتوفقون قريباً الى تأليف مملكة مستقلة تجمع تحتها عدة ولايات عظيمة من ولايات الصين مثل اليونام وسيتشوين وكويتشيو وسانسى

ولا بأس ان نرد الطرف كرة لنصل الى معرفة علاقة الاسلام بالمملكة الصينية وفى أى التواريخ كان مبدأ اتصالها فنرى ان مبدأ ذلك الاتصال كان من قديم العهد فى صدر الاسلام فى اوائل القرن الثامن للميلاد حيث دخل وفد من المسلمين الى مدينة بكين للدعوة الى الدين ولم يمض بعده وقت قليل الا وقد انتشرت المصاحف مطبوعة فى مدينة كانتون ولم ينته القرن الثامن الا وقد اقيمت المساجد والجوامع المتعددة على شواطىء نهر الينج تسيه كيانج بالقرب من مصبه فى البحر فاتصلت الروابط الاسلامية من هذا التاريخ بين الثغور الصينية والثغور العربية فى خليج العجم وكان اول مانزل المسلمون بالبلاد

الصينية فى عهد الخليفة المأمون حيث ارسل من شجعان جيوشه أربعة آلاف مقاتل لنصرة ملك الصين علي بعض اهل العصيان القائمين عليه من رعيته حتى اذا استقرت له الحال بفضل شجاعتهم رأى ان يسكنهم بلاده شكراً منه على ذلك الصنع الجميل . ثم جاء بعد ذلك عصر جنكيرخان فزادت سلطة الدين الاسلامى اتساعاً فى تلك الجهات وكثر عدد المهتدين به حتى بلغ اليوم ثلاثين مليونا من النفوس وان ظهر لك هذا العدد قليلا بالنسبة لأهل الصين الذين هم على دين المجوس الا ان اهل الديانة الاسلامية هناك هم أهل النجدة واهل القوة واهل السلطة الحربية من بين عامة اهل الصين ومنهم يأخذ الصينيون ابطال الحرب لقيادة جيوشهم منذ الجيل الماضي حتى تمت السيادة للمسلمين على طبقة الجند واختصوا بالسلطة الحربية يتصرفون فى معالى الامور كما يشاؤن في مدينة بكين وفى انحاء بتشيلي

ولا ازال اكرر القول بان سلطة المسلمين فى الصين قد عظم امرها واشتد وقعها منذ ثلاثين عاماً يتسع لها التصرف ويزيد بها عدد الداخلين فى الدين الاسلامي من اهل دين المجوس

واخذ يشرح قوتهم فى دينهم واستقلالهم به وامتناعهم بأزره الى ان حكمت عليه افكاره غيرة على دينه فقال في ختام كلامه

فهلا يجب بعد الشرح الذى شرحته عن قوة الاسلام في الصين وتسلط اربابه فيه ان نتنبه الى هذه الحالة ونأخذ حذرنا وحيطتنا من عواقب ذلك فان بلاد المسلمين هناك مجاورة لاملاكنا ودوائر نفوذنا

وان كان فى المسألة الصينية عقد ومشاكل يجب اجتهاد حكومتنا بحلها فأول هذه العقد عقدة انتشار الدين الاسلامى هناك .

فهذا رجل اوروبى قد بحث فى كيفية انتشار الدين الاسلامي وما خاف من سريانه فى آفاق المعمورة واصقاع المسكونة الا بعد ان علم متانة اصوله وقوة اساساته وقرب مادته من الاذواق السليمة وانه متى دخل ارضاً وحل فى نفوس اهلها كسح ما فيها من الاوهام الفاسدة والخيالات الكاسدة لما في القرآن العظيم من الروح القوية فى اماتة قوى الهمجية من النفوس وازاحة غمم الاشكالات العقلية من الرؤس وابعدت المعتقدات الفاسدة من الافكار وطرحت بها في هوة السقوط وأودية الاندثار . بخلاف الديانة المسيحية فانها وان كانت من الشرائع السماوية المنزلة من عند الله ولكن اختلاف الفرق والشيع قد اورثها خبالا فى اصل الاعتقاد وقد وصل ذلك الى التغيير والتحريف فى جوهر الكتاب المقدس كما اثبتت ذلك الفرقة الكاثوليكية ضد الفرقة الانجيلية وما جاهرت به الاخيرة من ان هناك اعتقادات اصل منشئها الوهم وحب الرياسة وامتلاك ازمة عقول الدائنين بهذا الدين يظهر ذلك من مطالعة آيات القرآن الشريف وما يقابلها فى موضوعها من فواصل التوراة والانجيل المنيف.وكان بالود ان اترك القول على الفرق لوضوحه وضوح الشمس الصاحية في السماء الصافيـة حتى يمكن لكل عقل ان يورد من ملاحظاته عليها وانتقاداته في شأنها ما يرتاح اليـه ضميره بدون ان يتقيد بما يورده صاحب القول. قلنا يتقيد اذ النفوس

تتشرب اول ما يقع عليه نظرها اذا كان عقلياً وبديهياً وتعمل الفكرة اذا ترك الامر لنظرها ودقيق فكرها على ان ذلك الايراد لا يمنع جولان العقول في ايراد ما هو أعلى واحلى وانما هي تلك الملاحظات عليها فتح باب القول لذوى العقول وعلى هذا نقول

أما من جهة بلاغة الالفاظ وفصاحتها فلا يقتدر انسان ان يطبقها على قانون البلاغة والفصاحة في الالفاظ لان الركاكة والتكرار وتنافر الكلمات وتعقيدها يجب ان يكون لها قانون في البلاغة خاص بها لامكان قياسها عليه واقامة الادلة بعد ذلك على كونها بليغة وما أظن قانوناً أليق بها من فطرة الاطفال الصغار في مبادئ التعليم اذا ارادوا ان يعبروا عن افكارهم ومقاصدهم . واما من جهة المعانى فالالفاظ الغريبة المتنافرة لا تحمل من المعانى الا ما يناسب وضعها ويماثلها وانت ترى ذلك ينادى في خلال السطور

فاين وضع آدم للتنعم مع زوجه فى الجنة من وضعه للعمل فيها وحفظها واين الشيطان الخصيص بالوسوسة من الحية المحتالة واين (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) من نخاطا اوراق تين وصنعا لانفسهما مآزر وأين (وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة) من وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة فاختبآ فنادى الرب الاله آدم وقال اين انت فان وجدنا تعليلاً فى وقال اين انت لم نجد لقوله وسمعا صوت الرب الاله ماشياً فى الجنة تعليلا او حجة اذ يستحيل عليه تعالى ان يتصف بصفات المخلوقات فى الكلام المسموع والمشى المسموع .

واين الايجاز غير المخل من التطويل الممل فى قص حديث ابنى آدم ونوح والطوفان والبلاغة التى تأخذ بالالباب وتندهش لها الابصار من الركاكة والتطويل وجلافة الالفاظ وسخافة المعانى فأين قوله فهدأت المياه وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء فامتنع المطر من السمآء ورجعت الميـاه عن الارض رجوعاً متوالياً من قوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى)

واين قوله فاسرع ابراهيم الى الخيمة الى قوله واخذ عجلا رخصاً وجيداً واعطاه للغلام فاسرع ليعمله ثم اخذ زبداً ولبناً والعجل الذى عمله ووضعها قدامهم واذ كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة اكلوا من قوله تعالى (فما لبث ان جآء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف) الخ

فأى علم وأى عقل اجاز ان الله تعالى يأكل من العجل او غيره مع ملائكته انظر الى تقرير القرآن وتحقيقه واتيانه بالخبر على حقيقته العلمية والخبرية النقلية فان الله ليس مماثلا للحوادث ولا يأكل ولا يشرب وكذا ملائكته الكرام فانهم اجسام نورانية روحانية مجردة عن الجسمية ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كمن هو عادته الاكل من الحيوانات الارضية فكيف تجوز التوراة ذلك واى عقل يصدق هذا الخبر عن الملائكة فضلا عمن لاتحيط العقول بكنه ذاته ولاتدرك الابصار حقيقته . وضف الى ذلك خبر اكل الملكين خبزاً

وفطيراً عند لوط فانه وسالفه سواء

وانظر الى قوله لاتقترب الى هاهنا اخلع حذاءك من رجليك لان الموضع الذى انت واقف عليه ارض مقدسة وقوله تعالى (فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى) تر البون البعيد والمدى المديد بين القولين فالاول يخاطب من لا يدرى انكان الحذاء اى النعل فى يديه او فى رجليه او فى كتفيه والثانى يخاطب رجلا حيا بالعلوم الزاخرة والمعارف الزاهرة بالكلام العذب الرقيق والقول الفصل الانيق . وتأمل فى قوله ثم قال له الرب ايضا أدخل يدك فى عبك فادخل يده فى عبه ثم اخرجها واذا يده برصاء كالثلج الخ وقوله تعالى (واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى) وانظر الى لطف الاشارة فى قوله تخرج بيضاء من غير سوء لان البرص فى الملة الاسرائيلية نجس تعلم ذلك من الاطلاع على الاصحاح الثالث عشر من سفر اللاويين فكيف تكون الآية الالهية والمعجزة الربانية من نوع ماهو معدود من الرجس والنجاسة ان ذلك لشيء عجيب وانظر في فظاظة قوله وانا اغلف الشفتين ورقة قوله واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى

هذا وقد أتيناك بكلام من الانجيل فى معرض الحذاء والنعل ونصيبه من الملاحظة كنصيب التوراة التى هي أمه او اصله اومن جنسه وفصيلته . وكأنك قد اكتفيت بالجزء دلالة على الكل وتقول كيف صح نسبة التوراة والانجيل الى الله تعالى وكونهما كلامه سبحانه جل شأنه وتعالى جده كما صح نسبة القرآن الشريف اليه تعالى لاعجازه البشر

على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم في الفصاحة والبلاغة . فاقول ان ماهو منسوب الى الله تعالى من الالفاظ والتعاليم والاحكام قد أودعه القرآن العظيم فترى له من الجلال والمهابة والفخامة ما يليق بجلاله الأقدس وجماله الانزه وقد انزل باللغة العبرانية بدرجة سامية ايضاً ولكن نسبته في البلاغة ترمي الى الرجال الموحى به اليهم فهو في حاله الاولى غير معجز لانه يعد في الاوليات وهكذا جرت عادة الله ان ينزل من الآيات والاحكام بقدر ما اعطى من العقول الى ان تدرج الخلق في مراتب التقدم والارتقاء فارسل الله سيد الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم وانزل على قلبه ذلك الكتاب الكريم المعجز فالقرآن في وقت اشتهار العرب بالفصاحة والبلاغة قد اعجزهم كما اعجزت عصا موسى السحرة واحياء عيسى الموتى الاطباء على ان القرآن لم يكن ايضاً من مقدور محمد عليه الصلاة والسلام لان درجة الفرقان المبين قد فاقت درجته بمراحل وهذا لا ريب فيه ولا مرية فقد صرح الله في كثير من آياته بانه معجز البشر ولا شك في ان محمداً عليه الصلاة والسلام من البشر وداخل في عموم هذا الكلام ولا عبرة بما قاله البعض من ان الفاظ القرآن له دون المعاني . على ان الاعجاز حاصل سواء كانت الالفاظ له والمعاني لله تعالى او انزل لفظاً ومعنى او كونه معجزاً لذاته بذاته او بصرف الله الناس عن الاتيان بمثله والاخيرة باطلة لاستمرار الاعجاز حتى يأتي امر الله تعالى لم يأت احد بمثل اقصر سورة منه . ولازلت انا (احمد الشريف) بحكم الوراثة الايمانية والعلمية والبضعة النبوية اتحدى

الناس كافة باقصر سورة منه

وكأني بهم قد عجزوا كما عجز الاولون وانفضوا من حول المكابرة صاغرين لبيناته قائلين باعجازه . وها نحن فى السنة التاسعة عشرة بعد الثلثمائة والالف من الهجرة النبوية والقرآن معادى من جميع الملل والنحل وقد قالوا فيه ما قالوا من الترهات والاباطيل تقليداً لمن قاسوه على الكتاب المقدس وماثلوه به ومع هذه العداوة الكلية والمكابرات السرية والعلنية نرى من كل فريق أناساً اولى بأس شديد فى الحق وذوى قدم راسخ فى العلوم العصرية والدينية قد سجدوا لبلاغته وفصاحته نظماً ومعنى واختاروه قانوناً سماوياً وكتاباً دنيوياً واخروياً وعقائد صحيحة المبدأ والغاية لا يمكن ثلمها او القول بالهمس من ذوى العقول الراجحة على بطلانها ودخلوا فى دين الله افواجاً ولا مبعوثين من علماء الاسلام ولا اهتمام باعلاء كلمته وتعزيز شأنه هداية الله تعالى لاهل العناية الالهية والسعادة الدائمة السرمدية

فترى وتحس وتشعر لدى تلاوة القرآن المجيد او سماعه بانفتاح الفؤاد وتباهجه وتشربه للآيات ومعانيها بصورة مدهشة فتارة تخاف خوفاً مريعا وتحذر حذراً حقيقياً وأخرى تبتهج وتسر وآونة تضحك وآنا تبكى وتجد له من اللذة الروحانية والبهجة النفسية مالا يكيف اويصور او يعبر عنه قلم او لسان . تشعر بصولة قهار وبطش شديد جبار . تجد صواعق قوى منتقم . تجد رحمة وغفراناً من عفوّ كريم مقتدر

وهذه الحالة الفائقة لا تكون لبشر مهما سما عقله وتناهى أدبه

وهذه الاحاديث الصحيحة وان كانت فى درجة عالية ومكانة سامية من البلاغة والفصاحة ولكنها فى مقام وحال دون مقام القرآن وحاله وقد ذكرنا آنفا انهما قد خرجا من بين شفتيه عليه الصلاة والسلام وهو شخص واحد

وهذا الفرق الواضح الجلى كان معروفاً ومحققاً لدي الاصحاب رضوان الله عليهم ولو لم يكن الأمر كذلك لاختلط الحديث بالقرآن ولم يظهر القرآن من الحديث او الحديث من القرآن وحصل الوهم والضلال فيهما ولو كان محمد مبطلاً والقرآن مفترى لاختلط عليه هو ايضا الامر فيهما ولظهر فى القرآن الاختلاف الكثير قال الله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً على انه قد حصل الاختلاف العظيم فى احاديث النبي صلى الله عليه وسلم حتى وضع علماء الحديث روابط واصولاً يعرف بها الصحيح والحسن والغريب والضعيف والموضوع لازالة الشك والاختلاف الناشيء من اختلاف الرواة والطرق فيها وهذا لم يحصل في القرآن العلى الشان . دين قويم فى صراط مستقيم لايأتى قرآنه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

فالقرآن العظيم قد كانت بلاغته الفائقة وفصاحته الرائعة حجة على انه من عند الله لانه لايمكن ان تكون من مقدور البشر لا سيما اشتماله على انباء الغيب في الماضى والآتى وتلك حالة لايقال باقتدار احد عليها غير عالم الغيب والشهادة مالك القوى والنواصى المستوى على عرش عظمته في كبريائه وجبروته استواء منزهاً عن الحلول عليه بما يوهم الجسمية

وقد عزز الله تعالى القرآن بالآيات الكبرى والمعجزات العظمى التي جاءت على يد هذا الرسول الكريم والنبي العظيم فتوجته باكاليل البهاء والحسن والجمال والابهة والعظمة والجلال ولقد كانت سببا عظيما في هداية السواد الاعظم من الناس خصوصا من لم يعتد منهم بمثل بلاغة القرآن وهم الخليط من الناس وضعفاء العقول الذين لا يناسبهم من الحجج الا القواطع من الآيات المحسوسة الظاهرة والمعجزات القاهرة . وأولئك على النسبة من قوم موسى وعيسى ولذلك لم تكن التوراة منزلة آية معجزة فى نفسها كالقرآن ولا الانجيل معجزة فى نفسه وما عرف قومهما بأنهما من عند الله الا بما اظهره موسى وعيسى من المعجزات التي ايدها القرآن الكريم وقد أتى بها على حقيقتها مبينا شأنها وعلو درجتها بخلاف النقل التاريخي ممن لا يحسن القول عليها تاريخياً ومن خدش ناموسها بالنقل دينياً

ولا ارتاب فى ان اولى العقول الزكية والقلوب الطاهرة الرضية من اهل الديانتين اليهودية والنصرانية قدعرفوا مقام الكتابين التوراة والانجيل وما هما من الصبغة فى الحقائق الدينية عند القياس على مقام القرآن فى الحقائق الالهية والمواقف الدينية والمنازع الدنيوية

والفرق بين التوراة والانجيل والقرآن الجليل ان الاولين لا يمكن اعتبارهما من عند الله باستقلالهما اى بدون تأييد بمعجزات محسوسة وبراهين مرئية ملموسة. والقرآن يمكن اعتباره ذاتيا بالاستقلال انه من عند الله للاعجاز الواقع فيه من وجوه مختلفة وضروب شتى وقيام

البراهين العقلية والحجج الدامغة على انه ليس من مقدور البشر ولا من مقدور محمد عليه الصلاة والسلام لانه من البشر ولوكان هذا القرآن من عنده لاتي بمثله من هم فى طبقته فى البلاغة والفصاحة ومن هم اوسع مجالا منه وهم كثيرون ممن مارس العلوم والمعارف ورحل الى غير موطنه فى طلبها

وازيدك بياناً ان مافى القرآن العظيم من الصولة على النفوس والجولة فى الارواح والسلطة السامية على العقول ما يكاد ان يميل بهـا الى اعتقاد ان محمداً صلى الله عليه وسلم اسمى من نبي وارفع من رسول ولهذه النكتة الخفية والدقيقة العقلية انزل الله عليه فى القرآن قوله تعالى فى آخر سورة الكهف قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

ولو لم يكن المراد بانزال هذه الآية تنبيه العقول اذا طاشت فى صفاته عليه الصلاة والسلام الى انه بشر مثلنا لهامت الافكار فى وديان الجهالة وقالوا عنه انه الاله الاعظم كما هام الأولون في عيسى عليه السلام حيث جعلوه ابن الله ثم قالوا انه هو الله جل الله وسما عن ان يكون هو المقبوض عليـه في زعمهم الفاسد والمصلوب فى وهمهم العاطل . وبهذا يتبين معنى الآية الشريفة ويظهر خافيها والا فتكون من قبيل تحصيل الحاصل لعلم الناس كافة بأن محمداً صلى الله عليه وسلم بشرٌ ومولود من رجل وامرأة كغيره من الناس وقد بينت هذه الآية مقامه وعظيم

شأنه ورفيع قدره وعلو درجته عليه الصلاة والسلام

ومن هنا كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم افضل[١] الرسل واشرف الانبياء واعلى شأناً واسمى مكاناً وارفع جانباً واقرب وصلة الى الله تعالى وكتابه الكريم القرآن العظيم اصح الكتب اسناداً اليه تعالى واعلاها طبقة في الفصاحة والبلاغة واحلاها كلاماً واحسنها نظماً واتمها نظاماً لما سبق من اقامة الادلة البرهانية على كونه في ذاته حجة دامغة وآية عظمى ومعجزة كبرى في هذه الاميــة الجليلة بل وفى غير الامية فان محمداً لو كان متعلماً ومتهذباً بالمعارف والعلوم وأتى به متحدياً ببلاغته وصــياغته وصناعته لكان له من الشأن ما يسمو على شأن التوراة والانجيل من طبقات عالية وقصور شامخة ومرام بعيدة ويكون مؤيداً كغيره بالمعجزات وخوارق العادات فان النبي محمداً صــلى الله عليه وسلم قد وقعت على يديه وبدعوته معجزات باهرة وخوارق عادات زاهرة تجدها والكلام عليها في

(١) سألني بعض الاجلاء هل يوجد في القرآن العظيم مايدل على ان سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم افضــل الرسل فقلت نعم قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الآية وخير افعل تفضيل فالرسول الى خير الامم خير الرسل أي افضلهم فسرّ بذلك وسرّ من سمع لان بعض المعاندين كانوا يسألون بعض اهل العلم عن ذلك مدعين ان القرآن خلو من آية تدل على افضليته عليه الصلاة والسلام وقد وصلني ان بعض الفضلاء اشتغل في استخراج ذلك من القرآن الكريم ولم يهتد وهذه الآية الجليلة بين يديه فلله الحمد والمنة اه منه

الباب الثالث

« فى معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته »

« فصل »

« في دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام »

(اعلم) هداك الله الى سواء السبيل ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم قد لقى من قومه الاعراب في وقائع كثيرة ومواقف عديدة شدة وغلظة حتى ان بعض من اظهر الاسلام كان يتتبع اعماله ويستقرىء احواله تصدياً للعثور على سقطة او عثرة فى قول اوفعل تذرعا لتصديق من كذب دعوته ونبذ رسالته من كفار قريش وغيرهم فكان يتعرض له ويسأله فى امور يكرهها لاغضابه فقد روى ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى الجعفى في صحيحه عن ابى اسامة عن بريد عن ابى بردة عن ابى موسى قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كرهها فلما اكثر عليه غضب ثم قال للناس سلونى عما شئتم قال رجل من أبى قال ابوك حذافة فقام آخر فقال من أبى يارسول الله فقال ابوك سالم مولى شيبة فلما رأى عمر ما فى وجهه قال يارسول الله انا نتوب الى الله عز وجل وفى رواية

اخرى للبخاري أيضاً فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً فسكت

ومن هذا تعلم ان العرب ماتركوا دين آبائهم واجدادهم الابعد ان وضح لهم الدين وتحققوا صدق محمد عليه الصلاة والسلام وصحة رسالته الى الناس كافة عامة ولا امكن احداً منهم ان يعزو اليه باطلا او امراً منكراً لا قبل ادعائه النبوة ولا بعده . واليك حديث ابى سفيان قبل اسلامه مع هرقل حدث البخارى عن ابى اليمان الحكم بن نافع قال اخبرنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ابن مسعود أن عبد الله بن عباس اخبره ان ابا سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه فى ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء فدعاهم فى مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم ودعا ترجمانه فقال أيكم اقرب نسبا بهذا الرجل الذى يزعم أنه نبيٌّ فقال ابو سفيان قلت انا اقربهم نسبا فقال أدنوه منى وقربوا اصحابه فاجعلوهم عند ظهره ثم قال لترجمانه قل لهم انى سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه قال فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علىّ كذبا لكذبت عنه ثم كان اول ماسألنى عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا القول منكم احد قط قبله قلت لا قال فهل كان من آبائه من ملك قلت لا قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم قال أيزيدون ام ينقصون قلت بل

يزيدون قال فهل يرتد احد منهم سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا
قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال قلت لا قال فهل يغدر
قلت لا ونحن منه فى مدة لاندرى ماهو فاعل فيها قال ولم تمكنى كلة
ادخل فيها شيئاً غيرهذه الكلمة قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف
كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه قال
ماذا يأمركم قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا
مايقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة فقال للترجمان
قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث
فى نسب قومها وسألتك هل قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا فقلت
لوكان احد قال هذا القول قبله اقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله وسألتك
هل كان من آبائه من ملك فذكرت ان لا قلت فلو كان من آبائه من ملك
قلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل
ان يقول ماقال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على
الناس ويكذب على الله وسألتك اشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم
فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك ايزيدون ام
ينقصون فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم وسألتك
ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا وكذلك
الايمان حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا
وكذلك الرسل لاتغدر وسألتك بماذا يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة

والصدق والعفاف فان كان ماتقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظن انه منكم فلو انى اعلم انى اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم اليريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد أمر أمر ابن ابى كبشة انه يخافه ملك بني الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام اه

« فصل »

﴿ في معجزات المصطفى عليه الصلاة والسلام المتواترة ﴾
(التى لاشك فيها ولا ريب)

(اعلم) نور الله بصيرتك وكشف عن بصرك وفقهك اليقين من امر

دينك وشرح الله به صدرك وسر به روحك أن الامر المعجز هو ماجاء خارقا للعادة وتطبق العقول على انه ليس من مقدور البشر وان لايكون تخييلا كالسحر وان يكون واقعا بازاء الدعوة وان يكون مناسبا للحال والشان كقلب العصا حية فى زمن ارتقاء السحر واحياء الموتى فى زمن ارتقاء الطب وكفصاحة القرآن وبلاغته فى زمن ارتقاء الفصاحة والبلاغة عند العرب ومفاخرتهم بهما وادلالهم بصدق لهجتهم فيهما . واعلم ان معجزات الرسل الماضين قد وقعت وانتهى امرها ولم يبق خبرها الصحيح الا في القرآن العظيم

ولكن معجزات محمد عليه الصلاة والسلام وخوارق عاداته المستفيضة لايزال بعضها باقيا بذاته ونصه وفصه وهو القرآن العظم والكتاب الحكيم أس الدين وسر اليقين وروح الحق المبين وسند المتقين وشفاء الصدور والارواح ومذهب الهموم العقلية والاتراح المحفوظ مدى الدهر والغالب فى كل عصر وجالب النعم ورافع النقم لايصل الى ركنه الركين وحصنه الحصين شيطان التغيير والتبديل كما جاء في محكم التنزيل انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

القرآن العظيم روح المدنية ودعامة الانسانية ولب الادب وزبدة الغرائب ولسان الفضائل والرغائب

وقد تحدى به الناس كافة والجن عامة فى عصر ظهور المنزل على قلبه والساري فى فؤاده وحيا والمكنون فى لبه سرا وهكذا يتحدى به علماء الدين وارثو المعارف واليقين فقد قال الصادق المصدوق العلماء ورثة الانبياء

وقد قال الله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وقد قال أيضا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وفى هذا من التوبيخ والتقريع ما يذيب الكبد ويلهب الشجن ويزيد الحقد والاحن وفى الاخبار أيضا عن عدم اتيانهم بمثله لا فى الحال ولا فى الاستقبال ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا من سمو درجته مالا يكيف ولله الحمد على ظهور آية الصدق فى خبره فقد عجز افرادهم وعجز جميعهم

ولا يزال حال العجز ومقام النكوص على العقبين حاصلين الى ان تقوم الساعة فهذه هى المعجزة الباقية مادامت الشمس مضيئة والقمر منيرا وكذا خوارق عاداته ومعجزاته فى حياته لا يزال اثرها باقيا فى نفوس اتباعه مادامت السموات والارض

فان كرامات اولياء الأمة المحمدية وسراة الديانة الاسلامية مع كونها بشرى لهم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة وكرامة لشأنهم ودليلا على اتصالهم به تعالى من طريق وشرعة النبى محمد صلى الله عليه وسلم فانها معجزة للمتبوع الاعظم والسيد السند الاكرم عليه الصلاة والسلام ومن الدلالات القاطعة على ان دينه القويم باق حكمه مادامت الليالى والايام

انما لا تركب براق الادلال بالكرامات او عشواء تسرى وراء المبطلين فما هنالك الا الفراسة الايمانية فى مقام النظر فى خلق السموات والارض وفى النفوس لتكون مع الذين انعم الله عليهم وزادهم

هدى فى سبله القويمة والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والولى هو الذى نصر كلمة الله ودينه القائم فى عمله الدينى والدنيوى باحسن ما أنزل الله قال تعالى اتبعوا احسن ماانزل اليكم وتناء بجانبك عما جزم به ابو اسحاق الاسفراينى الاشعرى وما قاله المعتزلة واعتقدوه فى الكرامات من انكار وقوعها ولاتخفض جناحك للطرف المتناهى فيها وكن بين ذلك قواما حق تكون ممن نص عليهم الكتاب الكريم فى قوله تعالى ألا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم هذا. ولنتكلم على معجزات النبى صلى الله عليه وسلم وخوارق عاداته فنقول

(من معجزاته الكبرى) وخوارق عاداته العظمى القرآن العظيم وقد تحدى به قومه بضعة وعشرين عاما صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم على رؤس الناس أجمعين وقد علمت مما ذكرناه مافيه الكفاية . ومن دلائل العقل على ذلك مايبلغ النهاية ويوصل الى الغاية من الاعتراف بالاعجاز والنكوص عن الاتيان بمثله

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) انشقاق القمر بدعوته فقد روى البخارى عن مسدد عن يحيي عن شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابى معمر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وحدث البخارى عن على بن عبد الله عن سفيان عن ابن ابى نجيح عن مجاهد عن ابى معمر عن

عبد الله قال انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال لنا اشهدوا اشهدوا وحدث البخاري عن يحي بن بكير عن بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال انشق القمر فى زمان النبي صلى الله عليه وسلم وحدث البخارى عن عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال سأل أهل مكة ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر وحدث البخاري عن مسدد عن يحي عن شعبة عن قتادة عن أنس قال انشق القمر فرقتين وحدث البخاري عن عبد الله بن عبد الوهاب عن بشر بن المفضل عن سعيد بن ابى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما

وقد ورد خبر انشقاق القمر فى احاديث كثيرة من طرق شتى وروايات مختلفة وخبر السماء صدق تلك الاخبار فقد قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ولا يلتفت لتعليل اهل الزيغ احتجاجهم الذي راوا بعد ذلك فساده فقد سأل كفار قريش اهل الآفاق فاخبروا انهم رأوه منشقاً فقال الكفار هذا سحر مستمر فانزلت الآية تعضيداً للمؤمنين وتكذيباً للمشركين . أما ما يعترض وقوع هذا الانشقاق للقمر من ان الدورة الفلكية يفسد نظامها وربما ينشأ عن وقوف الحركة أثناء انشقاق القمر اضطراب الفلك الاعظم . فنقول ان انشقاق القمر ليس باغرب من

وقوف الشمس ساعة ليوشع كما فى التوراة هذا من وجهة الدين لاهله .
ومن الوجهة العلمية الفلكية لمن لم يعتد بمثل هذه الاخبار ولا تلك الوقائع من المنفكين عن الدين واصوله فنقول

ان علماء الطبيعة والفلك قد عدوا اموراً كثيرة انها من فلتات الطبيعة لوقوعها على شكل يخالف النظام الطبيعي ولما يكون فيها من الغرابة الكلية وما ذلك الا خرق العادة الذي يقع عنــد التحدى لدعوة النبوة والرسالة وكما ان فلتات الطبيعة لم تغير من نظام الكون ولم تفسد دورة الافلاك فكذا خوارق العادات لم تحدث تغيــيراً فى الدورة ولا فساداً في حركتها

على انه لا يستحيل على العقل الدينى أن يقرر حقيقة انشقاق القمر وانقسامه فرقتين او نصفين اوقسمين بحيث لا يأباه العقل الفلسفى اوالعقل مطلقاً فى أقسامه وانواعه بعد ان تحقق وتيقن بوقوع هذا الحــادث بقدرة الله القادر على ذلك

فنقول إن القمر فى دورته في منازله حول الارض يلى عطارد من حيث المقام والجاذبية العامة تربط الكل ارتباطا فى تناسب شكل وحركة والقبة السماوية ترى الكواكب فيها فوق بعض درجات فكرة القمر المنحصرة فى دائرة مخصوصة انشقت فى منزلة انشقاقاً تدريجياً بحيث ان كل فرقة حافظة لدورتها وحركتها الاصلية وحافظة للنسبة التى هى فيها من جهة الارتباط العام ويجب ان يكون الانشقاق حاصلاً في اقرب نقطة من المنزلة (١) التى كان فيها القمر الى منزلة اخرى حتى لا يعترى

---

(١) المنزلة ليست معروفة بالاسم وانما هى منزلة الوجود حال الانشقاق اه منه

سيره الاصلي تعطيل ولاثانية واحدة والنصف الذى يكون متجهاً الى المنزلة الاخرى يكون فى سيره اليها بعض السرعة حتى يمكن الانفكاك بين الشقين ومتى وصل الى المنزلة الجديدة وتم البعد المراد بينهما يجب ان يسير النصف الآخر سير الاول حال الانفكاك والانخلاع عن نصفه والاول بعدهذا البعدالمراد يرجع الى حالة سيره قبل ان ينفك من شطره فيرجع القمر الى حالته الاولى وتكون الآية قد تمت وخرق العادة قد حصل بدون ان يتغير شيء من سير القمر او يعترى الدورة الفلكية العظمى ادنى فساد هذا اذا قلنا بالارتباط العام او الجاذبية الكلية العامة وهى فى نفس الأمر اضمن لكلامنا من الانحراف عن الحق واحفظ له من السقوط فى حضيض البطلان . والقول بالجاذبية العامة بدىء بعد رؤية السيارات دائرة حول الشمس فى افلاكها ودوائرها الخاصة بها على صورة واضحة وكيفية ظاهرة ومن قبل كان القول بالجاذبية العامة علمياً لا عملياً

قال علماء الفلك من يرصد القمر يومياً يراه دائراً حول الارض من الغرب الى الشرق وميل فلكه على دائرة البروج يختلف ومدة دورانه ٣٢ / ٢٧ يوماً وهذه المدة يقال لها الشهر النجمى وأما مدة الدوران بالنسبة الى الشمس فهى ٥٣ / ٢٩ اذ القمر يمر كل يوم على ١٣ درجة تقريباً والشمس فى مدة ٢٧ يوماً تتقدم نحو ٢٧ فيلزم للقمر يومان حتى يقترن بالشمس ولما كان القمر يدور حول الشمس على معدل بعد الارض وفى نفس مدة دوران الارض حولها فلابد ان

يكون خاضعاً للقوات الفاعلة فى الارض فلو تلاشت الارض لما تغير فلك القمر حول الشمس كثيراً الا بمحو التموج الحاضر وتحويل فلكه الى هليلجية صحيحة

وان كانت الشمس أبعد عن القمر من الارض ولكنها تجذب القمر اكثر مما تجذبه الارض

قالوا (وان قيل) فلماذا لا يترك القمر الارض اطاعة لجاذبية الشمس الزائدة ولا سيما عند الكسوف التام حينما تجذبها عن الارض بالاستقامة. (فيجاب) بان الشمس تجذب الارض ايضا وجاذبيتها للارض تارة اكثر من جاذبيتها للقمر وتارة اقل حسب بعد الارض أو القمر عنها فالارض لكي تمنع انفلات قمرها من ربطها لا تلتزم بمقاومة جاذبيــة الشمس له بل انما بمقاومة زيادة تلك الجاذبية عن جاذبية الشمس لها أى فضلة جاذبية الشمس للقمر وللأرض وهى أقل من جاذبية الارض للقمر

وبالحقيقة القمر سيار دائر حول الشمس تحت اضطرابات من تلقاء فعل سيار آخر هو الارض

وقالوا ان فلك القمر ليس دائرة حقيقية ولحركاته اضطرابات كثيرة ومن علل هذه الاضطرابات جاذبية الشمس فلوكانت الشمس أبعد كثيراً مما هى عن الارض والقمر لفعلت بالقمر والارض على التساوى ولم يحصل منها اضطراب وبما أنها ٤٠٠ مرة أبعد من بعد القمر فلجاذبيتها فعل ظاهر بتغيير حركة القمر

قالوا ويخسف القمر عند ما يقع في ظل الارض وتنكسف الشمس

عند ما يتوسط القمر بينها وبين الارض فيقع ظل القمر على الارض فلا يمكن ان يقع خسوف الا وقت الاستقبال ولا كسوف الا عند الاقتران ولو كان فلك القمر وفلك الارض فى سطح واحد لحدث كسوف عندكل اقتران وخسوف عند كل استقبال لوقوع ظل الارض والقمر فى سطح واحد وهو سطح فلكهما وكلا الظلين اطول من بعد القمر عن الارض اه

فاذا امعنت النظر فى كون القمر منجذبا للشمس ومنجذبا للارض وان كانت الشمس أبعد عن القمر اكثر من بعد الارض عنه تعلم ان القمر يتوسط بين الارض والشمس وتعلم ايضاً ان الارض تتوسط بين القمر والشمس ومن هنا حدث الكسوف والخسوف وان الارض تقاوم على الدوام زيادة جاذبية الشمس للقمر حتى يستقر معتدلا فى سيره متوازنا فى منازله ولولا تلك المقاومة لجذبت الشمس القمر جذباً ادى لانفلاته وان هناك اضطرابات كثيرة للقمر ناشئة من جاذبية الشمس للقمر. فالحادث الذى وقع بدعوة محمد عليه الصلاة والسلام وهو كون القمر قد انشق له فرقتين يكون قد تم بانجذاب الشمس لما تلاها انجذاباً ادى لصدعه وشقه لان الارض اكبر من القمر وفيها جاذبية للقمر والشمس اكبر من كليهما وهى تجذب القمر اكثر من جذبها للارض فالنصف الذى يلى الارض قد انجذب لها والنصف الذى يلى الشمس قد انجذب لها باكثر من جذب النصف الآخر ويكون فى هذا الوقت قد وصل اضطراب القمر الناشىء عن الجاذبية الى نهايته فحصل

الصدع والشق على الكيفية التى ذكرناها آنفاً ويجب ان يكون هذا الانشقاق قد حصل والقمر بدر او فى ليلة النصف من الشهر القمرى او السادسة عشرة على الاكثر لانه لا يكون قبل التمام أو قبيل المحاق وهـذه حقيقة كلية تحتاج الى روية وامعان لدي الوقوف عليها والله الهادي الى سواء السبيل

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ماروواه البخارى عن مسدد عن يحي بن سعيد عن عوف عن ابي رجاء عن عمران قال كنا فى سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا اسرينا حتى اذا كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة احلى عند المسافر منها فما ايقظنا الاحرّ الشمس وكان اول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان يسميهم ابو رجاء فنسي عوف ثم عمر ابن الخطاب الرابع وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لانا لاندرى ما يحدث له فى نومه فلما استيقظ عمر ورأى ما اصاب الناس وكان رجلا جليدا فكبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبى صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى اصابهم قال لاضير أولا يضير ارتحلوا فارتحل فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس فلما انفتل من صلاته اذا هو برجل معتزل لم يصل مع القوم قال ما منعك يافلان ان تصلى مع القوم قال اصابتنى جنابة ولا ماء قال عليك بالصعيد فانه يكفيك ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا فلانا كان يسميه ابو رجاء نسيه عوف ودعا عليـا

فقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فتلقيا امرأة بين مزادتين او سطيحتين من ماء على بعير لها فقالا لها اين الماء قالت عهدي بالماء امس هذه الساعة ونفرنا خلوفا(١) قالا لها انطلقي اذاً قالت الى اين قالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الذي يقال له الصابىء قالا هو الذى تعنين فانطلقي فجاآ بها الى النبي صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث قال فاستنزلوها عن بعيرها ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرّغ فيه من افواه المزادتين او السطيحتين واوكأ افواههما واطلق العزالىّ (٢) ونودى فى الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقي من شاء وكان آخر ذلك ان اعطى الذى اصابته الجنابة اناء من ماء قال اذهب فافرغه عليك وهي قائمة تنظر الى مايفعل بمائها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملأة منها حين ابتدأ فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا لها فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها قال لها تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً ولكنّ الله هو الذى اسقانا فاتت اهلها وقد احتبست عنهم قالوا ماحبسك يافلانة قالت العجب لقيني رجلان فذهبا بى الى هذا الذى يقال له الصابىء ففعل كذا وكذا فوالله انه لأسحر الناس من

---

(١) (ونفرنا خلوفا) اى رجالنا متروكون خلوفا اي غيباً عن رحالهم وهذا من كلام المرأة وخلوفا بضم الخاء المعجمة واللام المخففة

(٢) العزالى بفتح المهملة والزاى وكسر اللام وفتح الياء المشددة جمع عزلاء بكسر العين واسكان الزاي والمد هو فم المزادة الاسفل اه

بين هذه وهذه وقالت باصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السماء تعنى السماء والارض او انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذى هي منه فقالت يوما لقومها ما ارى ان هؤلاء القوم يدعونكم عمدا فهل لكم فى الاسلام فاطاعوها فدخلوا في الاسلام

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخارى عن عبد الله ابن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية الى ان قال نزل باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع لهم من كنانته ثم أمرهم ان يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه الحديث

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) مارواه البخارى عن عبيد الله ابن موسى عن اسرائيل عن ابى اسحاق عن البراء رضى الله عنه قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ماشئنا

نحن وركابنا

وحدث عن فضل بن يعقوب عن الحسن بن محمد بن اعين ابى على الحرانى عن زهير عن ابى اسحاق قال انبأنا البراء بن عازب رضى الله عنه انهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الفاً واربعمائة اواكثر فنزلوا على بئر فنزحوها فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأتى البئر وقعد على شفيرها ثم قال ائتوني بدلو من مائها فأتى به فبصق فدعا ثم قال دعوها ساعة فأرووا انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ماحدث به البخاري عن يوسف ابن عيسى عن ابن فضيل عن حصين عن سالم عن جابر رضى الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها ثم اقبل الناس نحوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما فى ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون قال فشربنا وتوضأنا قلت لجابر كم كنتم يومئذ قال لوكنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة

هذا ولما كان تكثير الماء ونبعه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم قد ورد فى كتب الاحاديث الصحيحة من طرق قد اجمع اصحابها الثقات على وقوع ذلك مرات كثيرة فى وقائع واسفار كان اصحابه يفقدون الماء فيها فقد اكتفينا بما ذكرناه دليلا عليها لا سيما وهو اهم الرويات واصحها نقلا واصدقها قيلاً (وان قلت) ان زيادة الماء حاصلة من مده من

ينابيعه بما عاناه الطالبون من النزح وهذا كثير الوقوع ويعد فى هذه
المواقع من محاسن الصدف ولايكون وقوعه معجزا خصوصا وان بعض
الوقائع المذكورة قد دل على ان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بترك البئر
ساعة وفى هذا مايشعر بواسع خبرته صلى الله عليه وسلم من ان النزح يكشف
من عيون البئر ويجب ان نترك البئر ساعة حتى تمدها ينابيعها الاصلية بل
ان ذلك معلوم حتى عند العوام وجهلاء الناس (نقول) ان هذا الاشكال
العقلي لا يتناول غير الماء النابع من البئر فالحق انه مما يورد عليه العقل
اشكاله هذا ولكن الماء القليل الذي كان فى نحو مزادتى المرأة المشركة
وكثر حتي استقى منه الجيش واخذوا منه حاجاتهم والماء الذى نبع من
بين اصابعه عليه الصلاة والسلام كامثال العيون فى وقائع مشهورة مما
لا يمكن العقل ان يورد عليه اشكالا الا ايراد الانكار وهذا يدفع بصحة
الوقوع وتواتر الاخبار الوثيقة المجزوم بحصولها واما الماء النابع من
البئر فاما ان نعده في نظر العقل آتيا بعد النزح كما هى العادة واما ان
نعد البئر من امثال عين سلوان الواقعة شرق اورشليم (القدس)
وغرب قرية عين سلوان فى سهل هناك يقال انه ارض المعاد فقد بلغنا
ونحن فى سياحتنا هناك ان هذه العين يجف ماؤها بعد الظهيرة الى قبيل
الاصيل فتمشينا من المسجد الاقصى اليها حيث تبعد عنه بنحو الاربع
دقائق ووصلناها واستكشفنا امرها فاذا هي جافة من الماء ووجدنا
عندها بعض النسوة من قرية عين سلوان ينتظرن الماء بجرارهن وما
مضت هنيهة من الزمن الا وقد فار الماء وامتلأت البئر وتزاحم الناس

عليها للاستقاء ترى تفصيل ذلك باكثر بيان فى رحلتنا الى الارض المقدسة وهذا ما الجأنا لتوجيه هذا الاشكال العقلى في المعجزة الخاصة بالماء النابع من البئر لاستخلاص المعجزات مما يورده العقل عليها من الاشكالات

ولاجل ان يؤب العقل المنكر لاستزادة الماء واستكثاره بعد القلة ونبعه من اصابعه صلى الله عليه وسلم كأمثال العيون الى مقام الاستنارة ويعرج من ضيق التقييد بالمحسوسات الى فسيحات الاطلاق فى المعقولات المجردة نقول

انه من المقرر لدي علماء الكيمياء والطبيعة ان الهواء يحتوي على واحد وعشرين جزأ من الايدروجين وتسعة وسبعين جزأ من الاوكسيجين والتبخير حاصل على الدوام فتارة يكون الماء المتبخر كثيرا وتارة يكون قليلا بنسبة المواقع والطقوس الجوية وقد جرت حكمة القادر ان تكون الكائنات وما يقع فيها من الحوادث والوقائع على اختلافها وتباين اشكالها لها من الاسباب والارتباطات والتعليلات ما يعرف بالعلم ويتحقق بالبحث والتنقيب وما لم تعرف اصوله ولا اسبابه فيظل معروف الحدوث بصورته وكيفيته مجهول الاسباب وكم فى الكائنات من قضايا بحث العقل العلمي فيها بآلات المعارف ودقائق المباحث ولم يهتد احد على كنهها ولا عرف تعليلا من تعليلاتها . واذ قد عرفت ذلك ومن هنا يمكن العقل الدينى ان يحيل تلك الحوادث ويحولها على ما لم نحط به علما من الحوادث الكثيرة الموضوعة تحت

البحث فى حقائقها واسباب كونها على ماكانت عليه ولكن لنا فى الكلام على تلك الحادثة المجال العظيم الذى لايدع فى الامر مجهولا الا كشف الستار عن حقيقته واوردها عروسا مجلوة على من لم يغله المهر فنقول

انه قد ثبت بالمشاهدة والعيان ان الماء النابع من بين اصابع النبي محمد صلي الله عليه وسلم لم يكن من لاشيء بل وجد الماء القليل الذى لا يكفى لري رجل واحد عطشان وليس ثم غيره وهذا الماء القليل اما ان يضع النبي عليه الصلاة والسلام يده فى نحو جفنة ويفرق اصابعه ثم يصب عليها هذا القليل من الماء الموجود كما حصل فى غزوة بواط اذ قد حدث مسلم عن جابر انه قال قال لى رسول الله صلي الله عليه وسلم يا جابر ناد بالوضوء وانه لم يجد الاقطرة فى عزلا سحب[1] فاتى به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لاادري ماهو وقال ناد بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده فى الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملآى اهـ او انه عليه الصلاة والسلام يضع يده فى نحو ركوة كما فى الحديث السابق ذكره قبل هذا فيفور الماء

---

(١) (قوله فى عزلا سحب) كذا بالاصل وليس بظاهر ولعله في عزلاء شجب والعزلاء فم القربة والشجب سقاء يقطع نصفه فيتخذ اسفله دلواً وليحرر اهـ

وعلى جميع الانحاء يكون الماء القايل وهو الاصل قد اتحد بماء آخر ثم انجذب اليه هذا الآخر وفار من بين اصابع هذا النبي الكريم

وقد تقرر فى العلوم الفلسفية ان بعض النفوس الطاهرة الزكية اذا تخلصت من الاكدار وصقلت بالعلوم وتمنطقت بالفضائل كنفس محمد عليه الصلاة والسلام يكون لها من التحكم فى الكائنات والسلطة القوية على اجراء ما هو خارق للعادة ما قد حصل من الغرائب ووقع من العجائب فعند اتحاد ماء الجفنة والركوة بالماء الموجود فى الهواء والمتبخر من الارض يكون هذا الانجذاب بتلك القوة النفسية وهذا ما أدلى به فكر العقلاء ليتمكنوا من تطبيق الحوادث الخارقة للعادة التي ثبت وقوعها بالمشاهدة والعيان على هذ الرأى وذلك الفكر. وعندى أن كل دليل يوصل لتقرير أمر وقع فعلا تقريرا عقليا يجب الاحتفال به ثم يسنده اهل الدين وينسبه اهل اليقين الى قدرة الله تعالى وهذا مما لاريب فيه على الاطلاق لان الامر الخارق للعادة قد حصل فعلا ولايمكن العقل انكاره كما لا يمكن انكار وجود مدينة من المدائن الشهيرة المعروفة كمكة ممن لم يرها بالعين

هذا واذ قد ثبت امكان وقوع هذه الخوارق ونبع الماء من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم بالدلائل العقلية فمن باب اولى يثبت فوران الماء من البئر ببركته صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك مارواه مالك فى الموطأ عن معاذ بن جبل فى قصة غزوة تبوك من انهم وردوا عينا وهى تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى

اجتمع فى شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال فى حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد ملىء جنانا

وهذا الماء قد فار بحيث يسمع له حس كحس الصواعق ولم يكن هذا من امداد اصول العين لها كما فى الملاحظات ولا نزحها احد حتي يخلص ينابيعها مما سدها وما بقى الا ان يعترف العقل بوقوع تلك الخوارق على يد سيد الوجود محمد عليه الصلاة والسلام وحصول هذه النعم ببركته للنفع وليزداد الذين آمنوا ايمانا

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخارى عن يحيي عن وكيع عن الاعمش عن ابى الضحى عن مسروق قال دخلت على عبد الله فقال ان من العلم ان تقول لما لا تعلم الله اعلم ان الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ماأسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين ان قريشا لما غلبوا النبي صلى الله عليه وسلم واستعصوا عليه قال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة اكلوا فيها العظام والميتة من الجهد حتى جعل احدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله تعالى يوم تأتى السماء بدخان مبين الى قوله جل ذكره انا منتقمون

وقد ذكره البخارى بلفظ آخر فقال حدثنا سليمان بن حرب

حدثنا جرير بن حازم عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلت على عبد الله ثم قال ان رسول الله صلى الله عايه وسلم لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شيء حتى كانوا يأكلون الميتة وكان يقوم احدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع ثم قرأ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين حتى بلغ انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون قال عبدالله أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة قال والبطشة الكبرى يوم بدر

واعاده بعبارة اخرى قال حدثنا بشر بن خالد اخبرنا محمد عن شعبة عن سليمان ومنصور عن ابي الضحى عن مسروق قال قال عبد الله ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وقال قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشاً استعصوا عليه فقال اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم السنة حتى حصت كل شيء حتى اكلوا العظام والجلود فقال احدهم حتى اكلوا الجلود والميتة وجعل يخرج من الارض كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال اى محمد ان قومك هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم فدعا ثم قال تعودوا بعد هذا في حديث منصور ثم قرأ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين الى عائدون ايكشف عذاب الآخرة فقد مضى الدخان والبطشة واللزام وقال احدهم القمر وقال الآخر الروم

وحدث البخارى عن يحيي عن وكيع عن الاعمش عن مسلم عن

مسروق عن عبدالله قال خمس قدمضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان وقد أورده البخاري فى صحيحه بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن كثير عن سفيان قال حدثنا منصور والاعمش عن ابى الضحى عن مسروق قال اتيت ابن مسعود فقال ان قريشاً ابطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذتهم السنة حتى هلكوا فيها واكلوا الميتة والعظام فجاءه ابو سفيان فقال يامحمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا فادع الله تعالى فقرأ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر قال وزاد أسباط عن منصور فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت عليهم سبعاً وشكا الناس كثرة المطر قال اللهم حوالينا ولاعلينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم

وحدث البخاري عن محمد عن عبد الله عن الاوزاعى عن اسحق ابن عبد الله بن ابى طلحة الانصارى عن انس بن مالك قال اصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ان يسقينا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ومافي السماء قزعة قال فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك وفي الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة

الاخرى فقام ذلك الاعرابي أو رجل غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده وقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا تفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادى وادي قناة شهراً قال فلم يجيء احد من ناحية الاحدث بالجود

وقد كرر البخاري هذا الحديث بالفاظ وعبارات اخرى وفي التكرار فائدة لاتخفى على أهل الفطن والامر العظيم يورده مشاهدوه على انحاء في الالفاظ والمعنى واحد لايتعدد ويكون سامعه قد وعاه وسر وفرح بصدقه وصحة وقوعه لاجتماع الجم الغفير على روايته والقول به

على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بشيء من غرائب القدرة الالهية الا بالطلب وفى الاوقات المناسبة لوقوع حوادث خوارق العادات ولا غرو فان المتصل بالله المرسل من لدنه الشفوق على رعيته وأهل دينه والمؤمنين به يفعل معهم كما حدث عمر عما وقع في جيش العسرة وما أصابهم من العطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فهنالك رفع النبي صلى الله عليه وسلم يده فهطلت السماء فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر ووقع من امثال ذلك كثير . وقد ذكرنا انه دعا الله وهو بمكة فامطرت السماء وغالب اهلها كفار به وهذا من زائد شفقته عليه الصلاة والسلام ورأفته بالناس كافة وحرصه على هدايتهم وارادته سعادتهم

وان لم يفعل ذلك فيكون مقتفيا أثر اخوانه الانبياء فقد قال متى في

الاصحاح الثالث عشر من الفاصلة (٥٤) الى الفاصلة (٥٨) ولما جاء (اى عيسى بن مريم) الى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من اين لهذا هذه الحكمة والقوات أليس هذا ابن النجار أليست امه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أو ليست اخواته جميعهن عندنا فمن اين لهذا هذه كلها فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم ليس نبي بلا كرامة الا فى وطنه وفى بيته ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم اه

ولكن النبي عليه الصلاة والسلام لما كان اعظم الانبياء فضلا وافضل الرسل نبلا واحسنهم اخلاقا فقد وقعت على يديه وبدعوته خوارق عادات ومعجزات وكرامات وبركات وهو فى مكة دار مولده واهله وعشيرته وقد بالغوا فى الانكار عليه واوقعوا به ما امكنهم من الاذى . فصل اللهم عليه صلاة تغدق بها عليه من نعمائك ما تقر به عينه وارحمنا بحبنا اياه واسكنا معه فى الفردوس الأعلى

(ومن معجزاته عايه الصلاة والسلام) ماروواه مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن سلمة بن شبيب عن الحسن بن اعين عن معقل عن ابى الزبير عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال لولم تكله لاكلتم منه ولقام بكم

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ما رواه البخارى عن احمد بن ابى سريج عن عبيد الله بن موسى عن شيبان عن فراس عن

الشعبي قال حدثني جابر بن عبدالله رضى الله عنهما ان أباه استشهد يوم
احد وترك عليه دينا وترك ست بنات (اوتسع بنات كما فى الرواية
الاخرى عن جابر أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
نكحت ياجابر قلت نعم قال ماذا أ بكراً أم ثيبا قلت لا بل ثيبا قال فهلا
جارية تلاعبك قلت يارسول الله ان ابى قتل يوم أحد وترك تسع بنات
كنّ لى تسع اخوات فكرهت أن اجمع اليهن جارية خرقاء مثلهن ولكن
امرأة تمشطهن وتقوم عليهن قال اصبت) فلما حضر جذاذ النخل قال
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد علمت ان والدى قد
استشهد يوم أحد وترك ديناً كثيراً واني أحب ان يراك الغرماء فقال
اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ففعلت ثم دعوته فلما نظروا الىّ كأنهم
أغروا بي تلك الساعة فلما رأى مايصنعون اطاف حول اعظمها بيدراً
ثلاث مرات ثم جلس عليه ثم قال ادع لك اصحابك فما زال يكيل لهم
حتى اذى الله عن والدى امانته وانا ارضى أن يؤدى الله امانة والدى
ولا أرجع الى اخواتى بتمرة فسلم الله البيادر كلها حتى انى انظر الى
البيدر الذى كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم كأنها لم تنقص تمرة واحدة

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ماحدث به البخارى عن خلاد
ابن يحيي عن عبد الواحد بن ايمن عن أبيه قال أتيت جابرا رضى الله
عنه فقال انا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤا النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال انا نازل ثم
قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لانذوق ذواقا فاخذ النبى صلى

الله عليه وسلم المعول فضرب فى الكدية فعاد كثيباً اهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صبر فعندك شيء قالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لى فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم فقال ادخلوا ولاتضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرّب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدى فان الناس اصابتهم مجاعة

وبلفظ آخر قال البخارى حدثني عمرو بن على حدثنا ابو عاصم اخبرنا حنظلة بن ابى سفيان اخبرنا سعيد بن ميناء قال سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فانى رأيت برسول الله صلي الله عليه وسلم خمصاً شديداً فاخرجت الىّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت الى فراغي وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع سؤراً فحيّ هلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت فاخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولاتنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) مارواه البخاري عن عبدالله بن يوسف عن مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة انه سمع انس ابن مالك يقول قال ابوطلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم فاخرجت اقراصاً من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك ابو طلحة فقلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة

الله عليه وسلم المعول فضرب فى الكدية فعاد كثيباً اهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لى الى البيت فقلت لامرأتى رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما كان فى ذلك صبر فعندك شيء قالت عندى شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم فى البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافى قد كادت ان تنضج فقلت طعيم لى فقم انت يا رسول الله ورجل او رجلان قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قال قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتى فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سألك قلت نعم فقال ادخلوا ولاتضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرّب الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدى فان الناس اصابتهم مجاعة

وبلفظ آخر قال البخارى حدثني عمرو بن على حدثنا ابو عاصم اخبرنا حنظلة بن ابى سفيان اخبرنا سعيد بن ميناء قال سمعت جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال لما حفر الخندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصاً شديداً فانكفأت الى امرأتى فقلت هل عندك شيء فانى رأيت برسول الله صلي الله عليه وسلم خمصاً شديداً فاخرجت الىّ جراباً فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها وطحنت الشعير ففرغت الى فراغي وقطعتها فى برمتها ثم وليت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم وبمن معه فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعاً من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل الخندق ان جابرا قد صنع سؤراً فحيّ هلا بكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اجيء فجئت وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جئت امرأتى فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذى قلت فاخرجت له عجيناً فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز معي واقدحي من برمتكم ولاتنزلوها وهم ألف فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هى وان عجيننا ليخبز كما هو

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) مارواه البخارى عن عبدالله بن يوسف عن مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة انه سمع انس ابن مالك يقول قال ابوطلحة لام سليم لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً اعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم فاخرجت اقراصاً من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه ثم ارسلتنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أأرسلك ابو طلحة فقلت نعم قال بطعام قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه قوموا فانطلق وانطلقت بين ايديهم حتى جئت ابا طلحة

فاخبرته فقال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا مانطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق ابو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو طلحة معه فقال رسول الله هلم يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز فامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم ففت وعصرت ام سليم عكة فأدمته ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ماشاء الله ان يقول ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فاكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعواثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فأكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون او ثمانون رجلاوفي رواية اخرى فاكل القوم كلهم وشبعوا والقوم ثمانون رجلا

وحدث البخاري عن موسى عن معتمر عن ابيه وعن ابى عثمان ايضاً عن عبد الرحمن بن ابى بكر رضى الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع احد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان طويل بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبيع ام عطية أو قال هبة قال لابل بيع قال فاشترى منه شاة فصنعت فامر نبي الله صلى الله عليه وسلم بسواد البطن يشوى وايم الله مامن الثلاثين ومائة الاقد حزّ له حزة من سواد بطنها ان كانشاهدا اعطاها اياه وان كان غائباً خبأها له ثم جعل فيها قصعتين فاكلنا اجمعون وشبعنا

وفضل فى القصعتين فحملته على البعير

والاخبار الصحيحة في معجزاته صلى الله عليه وسلم فى اكثار الاطعمة لاسيما وقت الجوع في مغازيه واسفاره عليه الصلاة والسلام كثيرة وفي هذا القدر الكفاية للعلم بما أوتيه من الفضل والمكانة العظيمة عند الله تعالى

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ماحدث به البخارى عن محمد بن المثنى عن ابي احمد بن الزبيرى عن اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا باناء فيه ماء قليل فادخل يده فى الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخارى عن اسماعيل قال حدثنى اخي عن سليمان بن بلال عن يحيي بن سعيد قال اخبرني حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك انه سمع جابر بن عبد الله يقول كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت

وقد رواه البخارى من طريق آخر فقال حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيي بن كثير ابو غسان حدثنا ابو حفص واسمه عمر بن العلاء اخو ابي عمرو بن العلاء قال سمعت نافعاً عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه

ومن طريق آخر قال حدثنا ابو نعيم حدثنا عبد الواحد بن ايمن قال سمعت ابي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى شجرة او نخلة فقالت امرأة من الانصار او رجل يارسول الله ألا نجعل لك منبراً قال ان شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع الى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي صلى الله عليه وسلم فضمها اليه تئن انين الصبي الذى يسكن قال كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ماذكره البخارى فى صحيحه من ان النبي قال للمسلمين وهو يومئذ بمكة اني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى ارجوان يؤذن لى فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بأبى انت قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت

عائشة فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن يأتينا فيها فقال ابو بكر فداء له ابي وأمي والله ماجاء به فى هذه الساعة الا أمر قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابى انت يارسول الله قال فانى قد اذن لى فى الخروج فقال ابو بكر الصحابة بأبى انت يارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بأبي انت يارسول الله احدى راحلتيّ هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله بن ابى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امراً يكتادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليها عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة يغلس يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بنى الديل وهو من بنى

عبد بن عديّ هادياً خريتاً والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش فأمناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل قال ابن شهاب واخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجيّ وهو ابن اخي سراقة ابن مالك بن جعشم ان اباه اخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول جاءنا رسول كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر دية كل واحد منهما من قتله اواسره فبينما انا جالس فى مجلس من مجالس قومي بنى مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة انى قد رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمدا واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا يبتغون ضالة لهم ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتى ان تخرج بفرسى وهى من وراء اكمة فتحبسها علىّ واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى اتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم فعثرت بى فرسى فخررت عنها فقمت فاهويت يدى الى كنانتى فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها أضرهم ام لا فخرج الذى اكره فركبت فرسى وعصيت الازلام تقرّب بى حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لايلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت

فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لأثر يديها عثان ساطع فى السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذى اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسى حتى جئتهم ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم أن سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم اخبار مايريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألانى الا ان قال أخف عنا فسألته ان يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من اديم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبرنى عروة بن الزبيران رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلي الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ماأطالوا انتظارهم فلما أووا الى بيوتهم اوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يامعاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا

فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي ابابكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة واسس المسجد الذي اسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتي بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين فى حجر اسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يارسول الله فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلي الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن فى بنيانه ويقول

هــذا الحمــال لاحمال خيــبر * هــذا أبرّ ربنــا واطهــر

اللهم ان الاجر اجر الآخرة * فارحم الانصار والمهاجره

ويقول فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى قال ابن شهاب ولم يبلغنا فى الاحاديث ان رسول الله صلي الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت

وقد روى البخارى فى قصة مهاجرة النبي عليه الصلاة والسلام

من مكة الى المدينة وحديث سراقة خبرا آخر وذكره الامام البغوى
الحسين بن مسعود الشافعى فى كتابه مصابيح السنة بعد ان ذكر حديث
أنس بن مالك رضى الله عنه أن أبا بكر الصديق قال نظرت الى اقدام
المشركين على رؤسنا ونحن فى الغار فقلت يارسول الله لو ان أحدهم
نظر الى قدمه ابصرنا فقال ياأبا بكر ماظنك باثنين الله ثالثهما. وهذاحديث
البخاري كما في صحيحه قال حدثنا محمد بن يوسف حدثنا احمد بن يزيد
ابن ابراهيم ابو الحسن الحرانى حدثنا زهير بن معاوية حدثنا ابواسحاق
سمعت البراء بن عازب يقول جاء ابو بكر رضى الله عنه الى ابى فى منزله
فاشترى منه رحلا فقال لعازب ابعث ابنك يحمله معي قال فحملته معه
وخرج ابى ينتقد ثمنه فقال له ابى ياأبا بكر حدثنى كيف صنعتما حين سريت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى
قام قائم الظهيرة وخلا الطريق لا يمر فيه أحد فرفعت لنا صخرة طويلة
لها ظل لم تأت عليه الشمس فنزلنا عنده وسويت للنبي صلى الله عليه
وسلم مكانا بيدى ينام عليه وبسطت فيه فروة وقلت نم يارسول الله
وانا انفض لك ماحولك فنام وخرجت انفض ماحوله فاذا انا براع مقبل
بغنمه الى الصخرة يريد منها مثل الذى أردنا فقلت لمن انت ياغلام فقال
لرجل من اهل المدينة أو مكة قلت أفى غنمك لبن قال نعم قلت أفتحلب
قال نعم فاخذ شاة فقلت انفض الضرع من التراب والشعر والقذى
قال فرأيت البراء يضرب احدى يديه على الاخرى ينفض فحلب فى
قعب كثبة من لبن ومعي اداوة حملتها للنبي صلى الله عليه وسلم يرتوي

منها يشرب ويتوضأ فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فكرهت ان اوقظه فوافقته حين استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد اسفله فقلت اشرب يارسول الله قال فشرب حتى رضيت ثم قال ألم يأن للرحيل. قلت بلي قال فارتحلنا بعد مامالت الشمس واتبعنا سراقة بن مالك فقلت أتينا يارسول الله فقال لاتحزن ان الله معنا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فارتطمت به فرسه الى بطنها ارى فى جلد من الارض شك زهير (والبغوى ساقها بغير لفظة أرى ولاشك زهير بل قال فارتطمت به فرسه فى جلد من الارض) فقال انى اراكما قد دعوتما على فادعوا لى فالله لكما ان ارد عنكما الطلب فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم فنجا فجعل لا يلقى احدا الا قال كفيتكم ماهنا فلا يلقى احدا الا رده قال ووفى لنا . قال الامام البخاري حدثنى محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ابى حدثنا عبد العزيز بن صهيب حدثنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال اقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو مردف ابابكر (اى ان راحلة النبي صلى الله عليه وسلم سابقة راحلة ابى بكر رضى الله عنه) وابو بكر شيخ يعرف ونبي الله صلى عليه وسلم شاب لايعرف (قال السندى اى كالشيوخ فى المعرفة بين النـاس لمباشرته التجارة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم فانه كالشاب الذى لايعرف لعدم سبق معاملته مع الناس والله اعلم)

(قلت) ان النبي صلى الله عليه وسلم كما فى رواية البخاري عن ابن عباس بعث لاربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى اليه ثم أمر

بالهجرة فهاجر الى المدينة ومكث بها عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين وابا بكر الصديق رضى الله عنه صح فى الاخبار انه توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته سنتين ونصف سنة فيكون النبي صلى الله عليه وسلم اكبر من ابى بكر بقدر مدة خلافته وظهور ابى بكر بالشيخوخة اما ان يكون كما قال السندى او انه قد شاب مما رآه المؤمنون من اهوال بمكة . واطمئنان النبي صلي الله عليه وسلم بالله تعالى وعلمه بصدق دعوته وظهور امره بهذا الدين القويم على الدين كله اقوى من اطمئنان ابى بكر وهو الاوجه في النظر

قال فيلقى الرجل ابا بكر فيقول ياابا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل قال فيحسب الحاسب انه انما يعنى الطريق وانما يعنى سبيل الخير فالتفت ابو بكر فاذا هو بفارس قد لحقهم فقال يارسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اصرعه فصرعه الفرس ثم قامت تحمحم فقال يانبي الله مرني بم شئت فقال فقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار جاهدا على نبي الله صلى الله عليه وسلم وكان آخر النهار مسلحة له فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم جانب الحرة ثم بعث الى الانصار فجاؤا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فسلموا عليهما وقالوا اركبا آمنين مطاعين فركب نبى الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وحفوا دونهما بالسلاح فقيل فى المدينة جاء نبى الله جاء نبى الله صلى الله عليه وسلم فأشرفوا ينظرون ويقولون جاء نبى الله فاقبل يسير حتى نزل جانب دار ابى ايوب فانه ليحدث اهله اذ سمع به عبد الله بن سلام

وهو فى نخل لاهله يخترف لهم فعجل ان يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه فسمع من نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى اهله فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم اى بيوت اهلنا اقرب فقال ابو ايوب انا يانبي الله هذه داوى وهذا بابى قال فانطلق فهى لنا مقيلا قال قوما على بركة الله تعالى فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله ابن سلام فقال أشهد انك رسول الله وانك جئت بحق وقد علمت يهود انى سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل ان يعلموا انى قد اسلمت فانهم ان يعلموا انى قد اسلمت قالوا فىّ ماليس فىّ فارسل نبي الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر اليهود ويلكم اتقوا الله فو الله الذي لااله الا هو انكم لتعلمون انى رسول الله حقاً وانى جئتكم بحق فاسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قالها ثلاث مرار قال فاى رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال افرأيتم ان اسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال افرأيتم ان اسلم فقالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال افرأيتم ان أسلم قالوا حاشا لله ما كان ليسلم قال يابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال يامعشر اليهود اتقوا الله فوالله الذى لااله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله وانه جاء بحق فقالوا له كذبت فاخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومما كان يقع على يديه عليه الصلاة والسلام) من خوارق العادات ماروواه البخارى عن محمد بن المثنى قال حدثنا معاذ بن هشام قال

حدثنى أبي عن قتادة قال حدثنا أنس ان رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فى ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين يضيئان بين ايديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهماواحد حتى أتى اهله

وقد اورد هذه الحادثة البغوى فى مصا بيح السنة فى باب الكرامات فقال عن أنس ان اسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهما حتي ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة البرد والظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان وبيد كل واحد منهما عصية فاضاءت عصا احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ اهله .

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما رواه البخارى عن قتيبة ابن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عن ابى حازم قال اخبرني سهل ابن سعد رضى الله عنه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون ليلتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو ان يعطاها فقال اين على بن ابى طالب فقيل هو يارسول الله يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال على يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا

فقال عليه الصلاة والسلام انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم

(قلت) هذه الحادثة قد اشتملت على الاخبار بالغيب من حيث الفتح على يدى على بن ابى طالب رضى الله عنه وشفاء عينيه من الرمد ببركته عليه الصلاة والسلام وشفقة النبي صلي الله عليه وسلم فى قوله لأن يهدى الله بك رجلا

ومن الاخبار الصحيحة فى شفقته عليه الصلاة والسلام ما رواه البخارى بالسند عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما انه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لااله الا الله فكف الانصارى فطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعدما قال لااله الاالله قلت كان متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت انى لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ما حدث به البخاري عن المكي ابن ابراهيم عن يزيد بن ابى عبيد قال رايت أثر ضربة فى ساق سلمة فقلت يا ابا مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة اصابتنى يوم خيبر فقال الناس اصيب سلمة فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيه ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما رواه البخارى عن يوسف

ابن موسى عن عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن ابى اسحاق عن البراء بن عازب قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابى رافع اليهودى واسمه عبد الله بن ابى الحقيق ويقال سلام بن ابى الحقيق رجالا من الانصار فأمر عليهم عبد الله بن عتيك وكان ابو رافع يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكان في حصن له بارض الحجاز فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح النـاس بسرحهم فقال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فانى منطلق ومتلطف للبوّاب لعلي ان ادخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضى حاجة وقد دخل الناس فهتف به البواب يا عبد الله ان كنت تريد ان تدخل فادخل فانى اريد ان اغلق الباب فدخلت فكمنت فلما دخل الناس اغلق الباب ثم علق الاغاليق على وتد قال فقمت الى الاقاليد فاخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده وكان في علاليّ له فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت عليّ من داخل قلت ان القوم نذروا بى لم يخلصوا اليّ حتى اقتله فانتهيت اليه فاذا هو فى بيت مظلم وسط عياله لا ادرى اين هو من البيت فقلت ابا رافع فقال من هذا فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسـيف وانا دهش فمـا اغنيتُ شيئاً وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد ثم دخلت اليه فقلت ماهذا الصوت يا أبا رافع فقال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف قال فأضربه ضربة أثخنته ولم اقتله ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى

اخذ في ظهره فعرفت انى قتلته فجعلت افتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة له فوضعت رجلى وانا ارى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت لا اخرج الليلة حتى اعلم أقتلته فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال انعى ابا رافع تاجر اهل الحجاز فانطلقت الى اصحابى فقلت النجاء فقد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال لى ابسط رجلك فبسطت رجلي فمسحها فكانها لم اشتكها قط

هذا واعلم ايها الفاضل ان قتل ابى رافع اليهودى وقتل كعب بن الاشرف الذي فعل به كما فعل بابى رافع من الحكمة الكونية بمكان لانهما كانا يؤذيان النبي عليه الصلاة والسلام ويعينان عليه ولو امر صلى الله عليه وسلم فارسل الى كل واحد منهما زمرة وجيشاهما أيضا جيوشا لتم أمر قتلهما ولكن بعد ان يقتل كثيرون من الفريقين وقد حقن الدم واستراح المؤمنون من أذاهما ولا ريب فى ان هذا الفعل يعد من شفقته صلى الله عليه وسلم ورأفته بالناس كافة وعلى مراد الله تعالى وبرضائه ولولم يكن الامر كذلك لما وقعت معجزة شفاء ساق عبد الله ابن عتيك والمعجزة لما كانت من الله تعالى وليست من مقدور محمد عليه الصلاة والسلام فوقوعها على يديه صلى الله عليه وسلم من الدلائل القاطعة على رضاء الله تعالى عن هذا الفعل وبرضاء الله ناجم اهل الزيغ المعاندين الذين اوردوا ملاحظات انتقادية على وقوع هذه الحادثة وقد

اوردنا في كتابنا الحياة السعيدة انتقادهم والرد عليه بما يشفى العليل ويروى الغليل

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ماحدث به البخارى عن ابي معمر عن عبد الوارث عن عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه انه قال كان رجل نصرانياً فاسلم وقرأ البقرة و آل عمران فكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فعاد نصرانياً فكان يقول ما يدرى محمد الا ما كتبت له فاماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد واصحابه لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فالقوه فحفروا له فأعمقوا فأصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فألقوه خارج القبر فحفروا له فاعمقوا له فى الارض مااستطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض فعلموا انه ليس من الناس فالقوه

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) مارواه البخارى عن عبد الله بن محمد عن سفيان عن ابي موسى قال سمعت الحسن يقول استقبل والله الحسن بن على معاوية بكتائب امثال الجبال فقال عمرو ابن العاص انى لأرى كتائب لاتولى حتى تقتل اقرانها فقال له معاوية وكان والله خير الرجلين اى عمرو وان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لى بامور الناس من لى بنسائهم من لى بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بنى عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز فقال اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا اليه فقال لهما الحسن بن

على انا بنى عبد المطلب قد اصبنا من هذا المال وان هذه الامة قدعاثت في دمائها قالا فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسألك قال فمن لى بهذا قالا نحن لك به فما سألهما شيئاً الا قالا نحن لك به فصالحه فقال الحسن ولقد سمعت ابا بكرة يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على الى جنبه وهو يقبل على النـاس مرة وعليه اخرى ويقول ان ابنى هذا سيد ولعل الله ان يصالح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخاري عن قتيبة بن سعيد عن سفيان عن عمرو بن دينار قال اخبرني الحسن بن محمد انه سمع عبيد الله بن ابى رافع يقول سمعت علياً رضى الله عنه يقول بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقـال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوا منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا لهـا أخرجي الكتاب قالت مامعي كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب قال فاخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياحاطب ما هذا قال يارسول الله لاتعجل عليّ اني كنت امرأ ملصقاً فى قريش يقول كنت حليفاً ولم اكن من أنفسها وكان من معـك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون اهليهم واموالهم فأحببت اذ فاتني ذلك

من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أماانه قد صدقكم فقال عمر يارسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا قال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله السورة يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوّى وعدوّكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق الى قوله فقد ضل سواء السبيل

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ماحدث به البخاري عن يوسف ابن موسى قال اخبرنا ابو اسامة عن اسماعيل بن ابى خالد عن قيس عن جرير قال قال لى رسول صلى الله عليه وسلم ألا تريحنى من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت فى خمسين ومائة فارس من احمس وكانوا اصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب يده على صدرى حتى رأيت أثر يده فى صدرى فقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) مارواه البخارى عن احمد بن واقد عن حماد بن زيد عن ايوب عن حميد بن هلال عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم نعي زيدا وجعفراً وابن رواحة للناس قبل ان يأتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذ جعفر فاصيب ثم اخذ ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم وفى رواية اخرى ثم اخذها خالد

ابن الوليد عن غير امرة

(قلت) وكان ذلك فى غزوة موتة من أرض الشام بالقرب من البلقاء قال القسطلانى وذكر موسى بن عقبة فى المغازي ان يعلي بن امية قدم بخبر اهل موتة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرنى وان شئت فاخبرتك قال فاخبرنى فاخبره خبرهم فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما تركت من حديثهم حرفا لم تذكره .

وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام اشار الى قتلهم من قبل ان يقوموا الى غزوتهم هذه فاقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمّر زيد بن حارثة قال ان قتل زيد فجعفر وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ماحدث به محمد بن اسماعيل فى صحيحه عن عبد الله بن مسلمة عن ابن ابى حازم عن ابيه عن سهل قال التقى النبى صلى الله عليه وسلم والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا فمال كل قوم الى عسكرهم وفى المسلمين رجل لايدع من المشركين شاذة ولا فاذة الا اتبعها فضربها بسيفه فقيل يارسول الله ما اجزأ أحد ما أجزأ فلان فقال انه من اهل النار فقالوا اينا من اهل الجنة ان كان هذا من اهل النار (وفى رواية اخرى فكاد بعض الناس يرتاب) فقال رجل من القوم لاتبعنه فاذا اسرع وابطأ كنت معه حتى جرح فاستعجل الموت فوضع نصاب سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فجاء الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك رسول

الله فقال وما ذاك فاخبره فقال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وانه من اهل النار ويعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما حدث به البخاري قال حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق اخبرنا معمر عن الزهرى عن ابى سلمة عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة نجد (وفى رواية قبل نجد) فلما ادركته القائلة وهو فى واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس فى الشجر يستظلون وبينا نحن كذلك اذ دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فاذا اعرابى قاعد بين يديه فقال ان هذا أتانى وانا نائم فاخترط سيفى فاستيقظت وهو قائم على رأسى مخترط سيفى صلتا قال من يمنعك منى قلت الله فشامه (اى اغمده) وفى رواية فسقط السيف من يده ثم قعد فهو هذا قال ولم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما حدث به البخاري قال حدثنا ابراهيم بن موسى اخبرنا عبد الوهاب حدثنا خالد عن عكرمة ان ابن عباس قال له ولعلى بن عبدالله ائتيا ابا سعيد فاسمعا من حديثه فأتيناه وهو واخوه فى حائط لهما يسقيانه فلما رآنا جاء فاحتبى وجلس فقال كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنة وكان عمار ينقل لبنتين لبنتين فمر به النبي صلى الله عليه وسلم ومسح عن رأسه الغبار وقال ويح عمار تقتله الفئة الباغية عمار يدعوهم الى الله ويدعونه الى النار

قلت وقد قتلته فئة معاوية بن ابى سفيان فى حربها مع علىّ بن ابى طالب والحديث صريح والامساك عن الخوض اولى عند العقل لا اخذاً بالنقل فما فى المنقول اصرح من الفاظ هذا الحديث المقطوع بصحته

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخاري عن عبد الله بن يوسف قال حدثنى الليث حدثنا يحيي عن محمد بن يحيي بن حبان عن انس بن مالك عن خالته ام حرام بنت ملحان قالت نام النبى صلى الله عليه وسلم يوما قريباً منى ثم استيقظ يتبسم فقلت ماأضحكك قال اناس من امتى عرضوا علىّ يركبون هذا البحر الاخضر كالملوك على الاسرة قالت فادع الله ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام الثانية ففعل مثلها فقالت مثل قولها فأجابها مثلها فقالت ادع الله ان يجعلنى منهم فقال انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا اول ماركب المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام فقربت اليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما حدث به البخاري قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم اخبرنا جرير عن المغيرة عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلاحق بي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا على ناضح لنا قد أعيا فلا يكاد يسير فقال لى ما لبعيرك قال قلت عيي قال فتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فزجره ودعا له فما زال بين يدى الابل قدامها يسير فقال لى كيف ترى بعيرك قال قلت بخير قد اصابته بركتك

قال أفتبيعنيه قال فاستحيت ولم يكن لنا ناضح غيره قال فقلت نعم قال فبعنيه فبعته اياه على ان لى فقار ظهره حتى ابلغ المدينة (وبعد كلام آخر فى غير هذا الموضوع) قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدوت عليه بالبعير فاعطانى ثمنه ورده على

(ومن ذلك) ما حدث به البخارى ايضا قال حدثنا الفضل بن سهل حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير بن حازم عن محمد عن انس بن مالك رضى الله عنه قال فزع الناس (بالمدينة) فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة بطيأ ثم خرج يركض وحده فركب الناس يركضون خافه فقال لم تراعوا انه لبحر (وفى رواية وان وجدناه (أى الفرس) لبحرا) فما سبق بعد ذلك اليوم

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما حدث به البخاري قال حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث قال حدثني سعيد عن ابي هريرة رضى الله عنه قال لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجمعوا الى من كان هاهنا من يهود فجمعوا له فقال لهم انى سائلكم عن شيء فهل انتم صادقى عنه فقالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من ابوكم قالوا فلان فقال كذبتم بل ابوكم فلان قالوا صدقت قال فهل انتم صادقى عن شيء ان سألت عنه فقالوا نعم ياابا القاسم وان كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في ابينا فقال لهم من اهل النار قالوا نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لانخلفكم فيها ابدا ثم قال هل انتم

صادقٌ عن شيء ان سألتكم عنه فقالوا نعم ياابا القاسم قال هل جعلتم فى هذه الشاة سما قالوا نعم قال ماحملكم على ذلك قالوا اردنا ان كنت كاذبا نستريح وان كنت نبيا لم يضرك

وفى الاخبار الصحيحة من نقل البغوي عن جابر انه لما قدمت الشاة المسمومة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه رهط من اصحابه قال ارفعوا ايديكم وارسل الى اليهودية التى سمت الشاة فدعاها فقال سممت هذه الشاة فقالت من اخبرك فقال اخبرنى هذه فى يدى يعنى الذراع فعفا عنها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ما رواه البخارى قال حدثني محمد بن الحكم اخبرنا النضر اخبرنا اسرائيل اخبرنا سعد الطائى اخبرنا محل بن خليفة عن عدي بن حاتم قال بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال ياعدى هل رأيت الحيرة قلت لم ارها وقد أنبئت عنها قال فان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف احدا الا الله قلت فيما بيني وبين نفسى فاين دعار طيء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أوفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله منه وليلقين الله احدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فيقولن ألم ابعث اليك رسولا فيبلغك فيقول بلي فيقول ألم أعطك مالا وافضل

عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الاجهنم وينظر عن يساره فلا يرى الاجهنم قال عدى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا النار ولو بشقة تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف الاالله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج ملء كفه

وقد حدث البخارى قال حدثنا يحيي بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال واخبرنى ابن المسيب عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسري فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ما حدث به البخارى قال حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى عمرو بن ابى سفيان بن اسيد بن جارية الثقفى وهو حليف لبنى زهرة وكان من اصحاب ابى هريرة ان اباهريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا وأمر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائتي رجل كلهم رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا آثارهم فلما رآهم عاصم واصحابه لجؤا الى فدفد واحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا

وأعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم احدا قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما انا فوالله لا انزل اليوم فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما فى سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصارى وابن دثنة ورجل آخر فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا اول الغدر والله لا اصحبكم ان فى هؤلاء لاسوة يريد القتلى فجرروه وعالجوه على ان يصحبهم فابى فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا فاخبرنى عبيد الله بن عياض ان بنت الحارث اخبرته انهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ بنا الى وانا غافلة حين اتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال تخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك والله ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوماً يأكل من قطف عنب فى يده وانه لموثق فى الحديد ومابمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق من الله رزقه خبيباً فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل قال لهم خبيب ذرونى اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين ثم قال لولا ان تظنوا ان مابى جزع لطولتهما اللهم أحصهم عددا

ماأبالى حين اقتل مسلما * على اى شق كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الاله وان يشأ * يبارك على اوصال شلو ممزع

فقتله ابن الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرىء مسلم قتل صبرا فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم اصيب فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه خبرهم وما اصيبوا وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا انه قتل ليؤتوا بشيء منه يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسولهم فلم يقدر على ان يقطع من لحمه شيئاً

(قلت) وفي هذه الحادثة ثلاث معجزات. الاولى مجيء العنب لخبيب من عند الله تعالى في غير وقته كرامة له ومعجزة لمتبوعه صلى الله عليه وسلم. والثانية اخبار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بما وقع. والثالثة عدم امكان قطع رسول كفار قريش من لحم عاصم بما ستره الله به

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) ما حدث به محمد بن اسماعيل قال حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهرى قال اخبرنى ابو سلمة ابن عبد الرحمن ان ابا سعيد الخدرى رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ اتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بنى تميم فقال يارسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر يارسول الله ائذن لى فيه فاضرب عنقه فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى نضيه وهو قدحه

فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسود احدي عضديه مثل ثدى المرأة او مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد ان على بن ابى طالب قاتلهم وانا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتى به حتى نظرت اليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذى نعته

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) مارواه البخارى قال حدثنا معلى بن اسد حدثنا عبد العزيز بن مختار حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على اعرابي يعوده فقال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على مريض يعوده قال لا بأس طهور ان شاء الله فقال له لا بأس طهور ان شاء الله قال قلت طهور كلا بل هي حمى تفور أو تثور على شيخ كبير تزيره القبور فقال النبي صلى الله عليه وسلم فنعم اذن

(ومنها) ماحدث به البخارى قال حدثنا ابو نعيم حدثنا زكريا عن فراس عن عامر عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت اقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم مرحباً يا ابنتى ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ثم اسر اليها حديثاً فبكت فقلت لها لم تبكين ثم اسر اليها حديثاً فضحكت فقلت مارأيت كاليوم فرحا اقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت

لأ فشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الي ان جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني العام مرتين ولا أراه الاحضر أجلي وانك اول اهل بيتي لحاقا بي فبكيت فقال اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة او نساء المؤمنين فضحكت لذلك

وحدث ايضاً قال حدثني يحيي بن قزعة حدثنا ابراهيم بن سعد عن ابيه عن عروة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت دعا النبي صلي الله عليه وسلم فاطمة ابنته في شكواه الذى قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت قالت فسألتها عن ذلك فقالت سارني النبي صلي الله عليه وسلم فاخبرني انه يقبض في وجعه الذى توفى فيه فبكيت ثم سارني فاخبرني اني اول اهل بيته اتبعه فضحكت

(قلت) وعلى الرواية الاخيرة يكون ضحك السيدة فاطمة رضى الله تعالى عنها فى الثانى اى بعد بكائها لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم فى نهاية الادب لان الحبيب يتمنى دائماً قرب حبيبه وهى اوجه من الاولى لهذه المناسبة فقط ولأن الحبيب مهما احسن اليه لايضحك ولا يسر بهذا الاحسان اكثر من الوجود مع حبيبه ولا سيما مثل هذا الوالد العظيم القدر على الخلق طرا

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) ماحدث به الامام البخارى قال حدثني احمد بن اسحاق حدثنا عبد الله بن موسى حدثنا اسرائيل عن ابى اسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن مسعود رضى

الله عنه قال انطلق سعد بن معاذ معتمرا قال فنزل على امية بن خلف ابي صفوان وكان امية اذا انطلق الى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد فقال امية لسعد انتظر حتى اذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت فبيناسعد يطوف اذا ابو جهل فقال من هذا الذى يطوف بالكعبة فقال سعد أنا سعد فقال ابو جهل تطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمداً واصحابه فقال نعم فتلاحيا بينهما فقال امية لسعد لاترفع صوتك على ابي الحكم فانه سيد أهل الوادى ثم قال سعد والله لئن منعتنى ان اطوف بالبيت لاقطعن متجرك بالشام قال فجعل امية يقول لسعد لاترفع صوتك وجعل يمسكه فغضب سعد فقال دعنا عنك فانى سمعت محمداً صلى الله عليه وسلم يزعم انه قاتلك قال اياى قال نعم قال والله مايكذب محمد اذا حدث فرجع الى امرأته فقال أما تعلمين ماقال لى اخي اليثربى قالت وما قال قال زعم انه سمع محمداً يزعم انه قاتلي قالت فوالله ما يكذب محمد قال فلما خرجوا الى بدر وجاء الصريخ قالت له امرأته أما ذكرت ماقال لك اخوك اليثربى قال فاراد ان لايخرج فقال له ابو جهل انك من اشراف الوادى فسر يوما او يومين فسار معهم يومين فقتله الله

(ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام) انه نعى النجاشي لاصحابه فى اليوم الذى مات فيه وصلى عليه معهم صلاة الجنازة فقد جاء في البخارى عن جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على اخيكم اصحمة

الخاتمة

لم يبق ريب بعد ما تقدم في ان المصطفى صلوات الله عليه وسلامه صاحب المعجزات والحجة المدحضة وأنه سيد الخلق ورسولهم الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم وها نحن نذكر في هـذا الفصل طرفا مما تناقله ثقات المحدثين ووعته أفئدة العلماء العاملين خلفاً عن سلف بصحيح الرواية والسند المتصل من التبشير بمولده و بعثته ليكون ختام الكتاب مسك الختام والله الموفق

فمن ذلك ما تضمنه حديث عبدالله بن العباس رضى الله عنهما عن سبب اسلام عمر رضي الله عنه وأنه توجه لما ضمنه لقريش من قتل النبي صلى الله عليه وسلم فمر بقوم من خزاعة وقد اعتمدوا صنما لهم يريدون أن يتحاكموا إليه فقالوا لعمر ادخل معنا لتشهد الحكم فدخل معهم فلما مثلوا بين يدي الصنم سمعوا هاتفاً من جوفه يقول

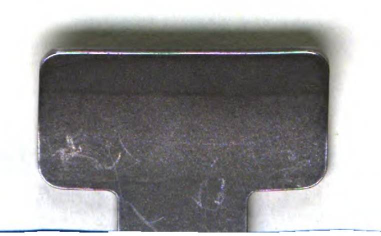
يا أيها النـاس ذوو الاجسام	ما أنـتم وطائشي الاحـلام
ومسندي الحـكم الى الاصنام	أصبحتم كـرتع الانعـام
أما ترون ما أرى أمامي	من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للنـاظر من تهـام	وقـد بدا لنـاظـر بالشام
محمـد ذو الـبر والا كرام	أ كرمه الرحمـن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام	يأمر بالصـلاة والصيـام
والـبر والصـلات للارحام	ويزجر النـاس عن الآثام
فبادروا سبقا إلى الاسلام	بـلا فتـور وبـلا احجـام

قال فتفرق القوم عن الصنم ولم يحضره أحد يومئذ الا أسلم ومن ذلك

ماروى أن قس بن ساعدة الايادي قام [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال فى اثناء خطبته أقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا آثما إن لله ديناً هو خير من دينكم الذي أنتم عليه ونبياً قد حان حينه وأظلكم أبانه فطوبى لمن لحقه وسمع منه ووعاه وويل لمن خالفه وعصاه ومنه ماروى ان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال بينا عبد المطلب نائم في الحجر انتبه مذعوراً قال العباس فتبعته وأنا يومئذ غلام أعقل ما يقال لى فأتى كهنة قريش يجر رداءه فقالوا يا أبا الحارث مابالك كالخائف الوجل قال رأيت رؤيا قالوا ما هي قال رأيت كأن سلسلة بيضاء خرجت من ظهري لها أربعة أطراف بطرف قد بلغ مشارق الارض وطرف قد بلغ مغاربها وطرف قد جاوز عنان السماء وطرف قد جاوز الثرى فبينا أنا أنظر اليها عادت شجرة خضراء لها نور فبينا أنا كذلك قام على شيخان فقلت لاحدهما من أنت قال أنا نوح نبي رب العالمين وقلت للآخر من أنت قال أنا ابراهيم خليل رب العالمين ثم انتبهت قالوا له لئن صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك نبي يؤمن به أهل السماء وأهل الارض ودلت السلسلة على كثرة أتباعه وأنصاره وقوتهم لتداخل حلق السلسلة ورجوعها شجرة ثانية يدل على ثبات أمره وعلو ذكره وسيهلك من لم يؤمن به كما هلك قوم نوح وستظهر به ملة ابراهيم . هذا قليل من كثير مما يدل دلالة واضحة على صدق رسالته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه نجوم الاهتدا والسالكين سبل الهدى صلاة يرضاها ويرضى بها عنا وتجعلنا لديه من المقربين آمين




VETVS & TESTA-
NOVVM MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY




Digitized by Google